
عمر محمد
أفكار منهجية
في البحث والتحليل والادارة
القيادة المؤسسية
نظام هجين يجمع بين القيادة الجماعية والقيادة الفردية
سعة الادراك والمهارات الادارية
الذكاء الجماعي
الذكاء البديهي
المنهج الفلسفي
المنهج العلمي
المنهج الديناميكي
المنهج الاستراتيجي
المنهج الشرعي
منهج التحليل السياسي
سعة الصدر
حُسن الاستماع
الجدية والالتزام بالمسئولية

محتويات الكتاب

بسم ا   الرحمن الرحيم

المقدمة

أن ا   قد وعد المسلمين بالنصر في مواقع مختلفة كقوله تعالى:"يأيها الذين ءامنوا إن تنصروا ا   ينصركم ويثبت أقدامكم" (محمد – ٧).

ولكن ا   تعالى قد ذكر أن سنته لن تتغير ولن تتبدل، قال ا   تعالى: "استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت ا   تبديلا ولن تجد لسنت ا   تحويلا" (فاطر – ٤٣).

وكذلك فقد طلب ا   تعالى وبنص واضح على الاعداد، قال ا   تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو ا   وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم ا   يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل ا   يوف إليكم وأنتم لا تظلمون" (الأنفال – ٦٠).

ليس هدف هذا الكتاب التوفيق بين هذه النصوص، وإنما يبدأ هذا الكتاب من منطق أساسي وهو أن سنة ا   في الكون والطبيعة لن تتبدل ولن تتغير وأن الانتصار في الدنيا يتطلب التعامل مع هذه السنة بمهارة وذكاء. هذا المنطق يتضمن أن الدولة أو الجماعة التي تتعامل مع سنة ا   في الكون والطبيعة بمهارة وذكاء أكبر هي المتوقع أن تنتصر في النهاية بغض النظر عن ديانة هذه الدولة.

هذا يتطلب التنبيه للأمور التالية:

١- المقصود بمهارة التعامل مع سنة ا   في الكون والطبيعة هي مهارة التعامل مع القوانين والأنماط التي وضعها ا   في الكون. كمثال على ذلك القوانين والأنماط المتعلقة بالحرب والسياسة والتجارة الخ. فعندما ينجح الرجل دائماً في تجارته فهو إما ان يكون محظوظاً، أي أن القوانين والأنماط المتعلقة بالتجارة دائماً في مصلحته لسبب أو لآخر (كأن يكون مثلاً إبن الحاكم) أو أن الرجل قد أدرك وبشكل كافي الأنماط والقوانين المتعلقة بالتجارة وأنه يتعامل مع هذه القوانين والأنماط بمهارة.

٢- التعامل مع سنة ا   في الكون بذكاء ومهارة لا يعني بالضرورة التنازل عن المبادئ أو المهادنة أو الركون الى الظالمين

٣- القوة المادية ضرورية للانتصارولكن بنظرة الى التاريخ العسكري والسياسي فستجد ان المهارة والذكاء كانت دائماً قل القوة وأن العبقرية كانت دائماً تتعلق بكيفية ضمان النصر قبل دخول المعركة.

٤- الاضافة الأساسية التي يقدمها الاسلام لتحقيق النصر في الدنيا هي قوة الانسجام والثبات. يجب التنبيه هنا أن الانسجام والثبات ليست كافية للانتصار ولكنها إضافة في غاية الأهمية حيث أنها تقوم بجمع وصهر أناس مختلفي الألسن والمنابت والطباع والعادات في جبهة صلبة واحدة.

٥- القرينة التي تدل أن الانسجام والثبات ليست كافية للانتصار هو انهزام أمراء كانوا عاليي العبادة والإيمان والمنزلة والعلم والشرف، منهم الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام، والذي أحرقت جثته ونثر رمادها على نهر الفرات. وعبد ا بن الزبير الذي علق ميتاً في فناء الكعبة. ومحمد النفس الزكية بن عبد ا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي بايعه الامام مالك والامام أبو حنيفة على الخلافة، وحاربه أبو جعفر المنصور، وحوصر في المدينة المنورة، ثم قطعت رقبته وحمل رأسه الكريم الى بغداد. وسيد الأمثلة هو سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب وهو حفيد رسول ا عليه السلام وسيد شباب أهل الجنة، ولم تسعفه هذه الصفات من أن يتحمل عواقب الاختيار الخاطئ لسنة ا في الكون والطبيعة وبكل ما في هذه العواقب من آلام وقسوة. ولو كان لسنة ا أن تتغير وتتبدل لغير الأنبياء لكان الأولى فيها سيدنا الحسين.

النقطة الاساسية هنا والتي يبدأ الكتاب منها أن انتصار المسلمين في الدنيا ونجاحهم يتطلب أمرين إثنين: الاسلام وذكاء التعامل مع سنة ا في الكون والطبيعة. الاسلام ضروري لأنه مصدر الانسجام والثبات لمجموع المسلمين، وذكاء التعامل ضرورية لأنها الأداة الاساسية القادرة على ادراك القوانين والأنماط المتعلقة بسنة ا واستغلالها لمصلحة الأمة.

وضمن نظرة المؤلف للتاريخ والادارة فإنه وجد ثلاثة أعمدة دنيوية أساسية يعتمد عليها ذكاء الدول والجماعات ومهاراتهم:

١) القيادة المؤسسية.
٢) الذكاء الجماعي.
٣) سعة الادراك والمهارات الادارية.

وهذه الأعمدة التي سيتم نقاشها في هذا البحث.

عمر محمد
٢٠٠٦-٦-٨

العقدة الكبرى في فلسفة الحكم
والعقدة الكبرى في فلسفة الجماعة

العقدة الكبرى في فلسفة الحكم:

هناك نظامان رئيسيان في الحكم: القيادة الفردية والقيادة الجماعية. في نظام القيادة الفردية تكون كل السلطات مركزة في يد رجل واحد (إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر: مثال ذلك ستالين فقد كان يحكم روسيا حكما كاملا مع وجود مجالس صورية للحزب الشيوعي). أما القيادة الجماعية فتكون القرارات والسلطات بالتشاور والتصويت. ضمن النظرة الى التاريخ فإن نظام القيادة الفردية ناجح إذا كانت قدرات القائد فوق الطبيعية. على اية حال فإن نجاح هذه القيادة مؤقت لأن سعة عقل الفرد غير كافية لمشاكل السياسة والمجتمع، ولأن الفرد مهما كانت عبقريته فإنه ليس معصوماً عن الزلل، وفي حالة القيادة الفردية فإن مراجعة الزلل والاعتراف به واستدراكه في غاية الصعوبة حيث يتعارض هذا مع الشعور بالعزة والكبرياء لدى القائد، وأخيراً فإن نظام القيادة الفردية لا يضمن دائماً أن يكون خَلَف القائد بنفس العبقرية، فالنظرة للانسان تكون لقدراته الطبيعية وليست لقدراته المثالية. ولهذا فليس غريباً أن نرى في التاريخ امبروطوريات أقامها الأجداد بمهاراتهم وحطمها الأبناء والأحفاد بحماقاتهم.

أما القيادة الجماعية فإن سعة عقل الجماعة أكبر من سعة عقل الفرد للإحاطة بالمشاكل السياسية والاجتماعية، وكذلك فإن القيادة الجماعية تمنع أية فرد أو جهة من فرض الرأي أو التسلط بالحكم. ولكن نظام القيادة الجماعية يكون بطيئاً في اتخاذ القرار، بطيئاً في التنفيذ وبطيئاً في التغير، وضعيفاً في المرونة.
إن أفضل مثال لهذا النظام هو سويسرا، فالقيادة الجماعية هي التي فرضت على الجميع في سويسرا على الحياد في الحربين العالميتين، ولكن البطأ واضح عندها في اتخاذ القرارات السياسية.

إن النظرة لتاريخ الدول الضخمة في التاريخ يعطيك دلالة أن معظم هذه الدول أقامها أفراد قلائل، ولكن أهل الحل والعقد وممثلين الأمة هم من حافظوا عليها وكانوا قادرين على تنبيه القائد إن بدأ بالزلل وصد القائد إن بدأ بالتسلط، وكان بداية السقوط لهذه الدول عندما انفرط التوازن بين سلطة الفرد وسلطة الجماعة.
هذه هي النقطة: إقامة الدولة وتحقيق أهدافها والوصول الى غاياتها يحتاج الى عبقرية الأفراد ولكن المحافظة على الدولة ومنعها من السقوط يحتاج الى وعي الجماعة.

لهذا السبب فإن العقدة الكبرى التي شغلت آباء الدول الضخمة في التاريخ هو كيفية عمل نظام يسمح للفرد بقيادة الدولة مع عمل نظام يمنع هذا الفرد من التسلط. أو بمعنى آخر: كيف يمكن عمل نظام بحيث يأخذ حسنات القيادة الفردية دون سيئاتها ويأخذ حسنات القيادة الجماعية دون سيئاتها.

إن النظرة للتاريخ تعطيك فكرة واضحة أن معظم الدول التي عمرت وأثمرت في التاريخ قد كان لها نظام هجين يجمع بين القيادتين الفردية والجماعية، أو بمعنى آخر أن هناك نظام هجين يسمح للفرد بالقيادة ولكن يمنعه من فرض رأيه عنوة ويمنعه تماماً من التسلط في الحكم.

ضمن النظرة الى التاريخ والنظرة للأدلة الشرعية فإن المؤلف على قناعة أن الطريقة التي يمكن فيها حل العقدة الكبرى في الحكم هو أن يكون نظام الحكم إدارة فردية تحت اشراف مجلس (للأدلة الشرعية المتعلقة في هذا الموضوع راجع كتاب "فلسفات الحكم والدستور" للمؤلف). ويمكن تسمية هذا النظام بالقيادة المؤسسية للتفريق بينها وبين القيادة الجماعية والقيادة الفردية.

على أية حال فإن النظام السابق يشكل هيكلية الادارة في الدولة وهي بداية جيدة ولكنها ليست كافية للنجاح، فلا بد للأمة بشكل عام وللأجهزة الإدارية ومجالس الحكم بشكل خاص أن تتوفر فيهم الصفات والطبائع اللازمة للنجاح. هذه الصفات والطبائع يمكن اختصارها في عبارة واحدة:
للوصول الى الغايات فيجب أن يكون عند الأمة بشكل عام وعند الأجهزة الإدارية بشكل خاص ذكاء جماعي مرتفع.

وهذا هو موضوع الفصل التالي.

العقدة الكبرى في فلسفة الجماعة:

كانت الجمهورية الرومانية القديمة أول من طبق بنجاح شكلاً من أشكال نظام القيادة المؤسسية وكانت الادارة الفردية بين قنصلين وكان الاشراف بيد مجلس الشيوخ. ولكن مع توسع الجمهورية الرومانية في مشارق الأرض ومغاربها ودخول أعضاء جدد في مجلس الشيوخ من ثقافات وطبائع شتى، فقد بدأ مجلس الشيوخ بالتضعضع بسبب تنافر وشقاق أعضاءه مما يسر في النهاية ليوليوس قيصر ومن بعده أكتافيوس من أخذ الحكم المطلق عنوة من مجلس الشيوخ.

وهنا نأتي الى العقدة الكبرى في فلسفة الجماعة. إن الرجال ذوي الأفكار والثقافات والاختصاصات والخبرات المختلفة سيكون لهم وجهات نظر مختلفة لأي موضوع مطروح للمداولة، وهذا مفيد عندما يكون الموضوع المطروح حيوياً ورئيسياً ومصيرياً. وعندما يجتمع عشرة أشخاص متشابهين في الطبيعة والفلسفة والأفكار والخبرات، فالنظرة التي يجتمع عليها هؤلاء هي نظرة واحدة تكررت عشرة مرات. وهذه النظرة غير مفيدة أبداً إن كان الموضوع المطروح حيوياً ورئيسياً. الطريقة الوحيدة للاحاطة بالموضوع هو أن يجتمع ذوي الخبرات والأفكار والفلسفات المختلفة ويتداولوا الموضوع وتكون النتيجة هنا إحاطة حقيقية لهذا الموضوع.
هناك مثال مشهور في الأدبيات الادارية عن ثلاثة عميان بدأوا يتحسسون تمثالاً لفيل فقال الأول: إني أشعر بأعمدة أربعة سميكة. وقال الثاني: إني أشعر بخرطوم طويل. وقال الثالث: إني أشعر بحائط يخرج منه حبل قصير.
كل من هؤلاء رأى زاوية محددة من الموضوع وكل منهم كان صادقاً في نظرته ولكن لا أحد منهم كان قادراً لوحده للاحاطة بكل الموضوع، والطريقة الوحيدة التي يمكنهم من الاحاطة بكل الموضوع هو أن يتداولوا ويتناقشوا الأمر فيما بينهم.

وهنا العقدة الكبرى: كيف يمكن أن يقوم أعضاء المجلس (أو الفريق أو اللجنة) من عرض أفكارهم وشرحها مع تيار مخالف دون أن يزرع هذا الخلاف بذور النفور والشقاق والخلاف الشخصي. أي كيف يمكن أن نضع فلسفة تضمن أن اختلاف الرأي لن يتحول (كما هي العادة في طبيعة الانسان) الى خلاف شخصي.

النقطة هنا أن الموضوع المعقد يحتاج الى أكثر من عقل للاحاطة به. وحيث أن كل عقل له زاوية انتباه معينة تختلف باختلاف الثقافة والأفكار والخبرات فإن الاختلاف في وجهات النظر طبيعي. بل إن الأدبيات الادارية الحديثة تطالب بأن يكون الفريق ذوي مهارات وخبرات مختلفة لأن الابداع والحلول العبقرية تأتي نتيجة لتلاطم الأفكار بعضها ببعض، وتلاطم الأفكار يكون نتيجة للخلافات في وجهات النظر.

فالسؤال هنا هو كيف يمكن عمل فريق يسمح بتلاطم الأفكار ويسمح بمناقشة الآراء المختلف عليها دون أن يؤدي هذا الى النفور أو الشقاق أو الخلاف الشخصي بين أعضاء الفريق. وكذلك كيف يمكن لأعضاء الفريق أن يلتزموا كلهم بالخطط المتبناة حتى وإن خالفت وجهات نظرهم. بمعنى آخر: كيف يمكن أن نتسامح باختلاف الرأي ونَتحد في الطريق.

يجب الانتباه أن الموضوع هنا لا يتعلق باختلاف عابر في جلسة نقاش. بل اختلاف حقيقي في وجهة النظر المتعلقة في التصرف الأولى للعمل والخطة الأولى للتنفيذ. وخلاف الرأي هذا قد يمتد أسابيع وأشهر من المداولة، فكيف يمكن الضمان أن خلافات الرأي هذه ستبقى قدر الامكان خلافات رأي ولن تتحول الى شقاق وخلافات شخصية.

الحل هو تقوية الذكاء الجماعي لدى الجماعة بشكل خاص والأمة بشكل عام.

لنضع مثالاً:

ضع لغزاً أو مشكلة عملية ومعقدة بعض الشئ بحيث يستطيع الفرد الذكي إيجاد الحل لها خلال ساعة واحدة، ثم اجمع عشرة أشخاص أذكياء ذوي مهارات وشخصيات مختلفة وأعطهم هذه المشكلة واطلب منهم أن يحلوا هذا اللغز بشكل جماعي. أغلب الظن أنهم لن يستطيعوا حل المشكلة وإن اجبروا على الجلوس معاً خمس ساعات. الطريقتان الوحيدتان، ضمن طبائع الانسان العادية، والتي يمكن فيها حل هذه المشكلة هو ظهور شخصية أو شخصيتين طاغيتين في الفريق يجبرا الفريق على الإتجاه معهما والطريقة الثانية هو أن يتم تعيين مدير للفريق من سلطة خارجية ويكون لهذا المدير سلطة حقيقية. على أية حال اتباع احدى هاتين الطريقتين يعني أن الحل النهائي لم يكن حلاً جماعياً بل كان حلاً فردياً ولكن بمشاركة جماعية.

يجب التنبيه أنه إذا قام الفريق بتعين مدير له فإن هذا المدير لا يملك سلطة حقيقية إلا بالقدر الذي يتفق فيه غالبية الفريق. فإذا كانت المشكلة معقدة وتحتاج لوقت طويل فإنه ضمن الطبائع العامة للإنسان فإن تبادل الألفاظ سوف يحدث (بقصد أو دون قصد) كما أن الغرائز الأساسية اللاواعية سوف تطفو دون انتباه (مثل حب الظهور،حب القيادة، كراهية الانقياد، الكبرياء، واللااعتذار، والاعتداد بالرأي، فرض الرأي، الخ)، وكلاهما سيؤدي الى الضيق. وكل شخص له قدرات صبر مختلفة فإن خرج الضيق عن حدود الصبر فإن الضيق سيتحول وبسرعة الى تنافر ويتحول التنافر الى شقاق وخلاف شخصي. ولهذا فإن الطريقة لحل هذه المشكلة هو أن يكون هناك شخصية طاغية يتفق علها الفريق، أو يكون هناك مدير للفريق ذو سلطة حقيقية مستمدة من الخارج.

وهناك طريقة أخرى وهي تنمية وتقوية الذكاء الجماعى لهذا الفريق.

يقاس ذكاء الجماعة بقدرة الجماعة للتفكير والتصرف والوصول معاً للحلول دون وجود شخصية طاغية فيها ودون وجود مدير معين لها.
يجب التنبيه أنه من الضروري أن يكون للأجهزة الادارية مدراء ولكن إذا كانت هذه الأجهزة ذوي ذكاء جماعي مرتفع فإن مهمة هؤلاء المدراء سوف تكون في غاية السهولة مقارنة بأجهزة إدارية ذوي الذكاء الجماعي المنخفض.

يجب التنبيه كذلك أنه ضمن الطبائع العادية للمجتمعات فإن ذكاء الفرد أقوى بكثير من الذكاء الجماعي ولكن المشكلة هي أن سعة ذكاء الجماعة أكبر بكثير من سعة ذكاء الفرد. والسؤال هنا كيف يمكن رفع مستوى الذكاء الجماعي في الأمة بشكل عام وفي أجهزتها الإدارية بشكل خاص.

ضمن نظرة المؤلف لطبائع الفرد والمجتمع فإنه يوجد ثلاث طبائع رئيسية ضرورية للذكاء الجماعي ينتج عنهن (عاجلاً أو آجلاً) بروتوكولات الاجتماع وأربعة طبائع فرعية.

أ) الطبائع الرئيسية الثلاثة:

١) سعة الصدر.
٢) حسن الاستماع.
٣) الجدية والالتزام بالمسئولية.

ب) الطبائع الأربعة الفرعية:

١) الأدب والدوبلوماسية.
٢) النظرة العملية (البراغماتية).
٣) برودة الأعصاب (الأناة).
٤) خطوط التفكير المتوازية.

ت) نظام وبروتوكولات الاجتماع والنقاش: وهي أساليب وبروتوكولات تساعد على تسهيل وتسريع استخراج الأفكار والاحاطة بها.

إن حسن الاستماع والجدية ستفرضان على الفريق ابتكار أو تبني نظام اجتماعات لهم. إن طبائع الناس مختلفة فمنهم من يسترسل ويسترسل في الحديث ومنهم من يفضل السكوت عن الكلام فيكون حديثه مقتضباً، الخ. ولمعالجة تأثير هذه الطبائع فلا بد من نظام ينبه المسترسل وينبه المقتضب. أحد الأنظمة في هذا المجال هو نظام الوقت المحدد. في هذا النظام لا يسمح للفرد أن يزيد حديثه عن وقت محدد وبعدها عليه أن يسمح لغيره بالحديث. بالاضافة الى ذلك، فإن هناك أنظمة تساعد على استثارة العقل للخروج بأفكار خلاقة. أمثلة لهذه الأنظمة: نظام العصر الذهني لـ "دي بونو" (Edward De Bono)، نظام القبعات الستة لـ "دي بونو"، استراتيجية ديزني في البرمجة اللغوية العصبية، الخ.

الطبائع الرئيسية الثلاثة:

من الأفضل قبل مناقشة هذه الصفات الاجابة على التساؤل التالي: جميع الصفات السابقة هي صفات فردية فلماذا أطلق علي مضمونها اسم "الذكاء الجماعي"؟
الجواب هو أن هذه الصفات هي صفات فردية لا تثمر إلا في إطار الجماعة. بمعنى أن الرجل واسع الصدر إن كان مع مجموعة ذوي صدر ضيق فأغلب الظن أن يعتزلهم ذلك الرجل أو أن يتعامل معهم بضيق الصدر، والرجل حسن الاستماع إذا ناقش مجموعة سيئة الاستماع فإنه إما أن يعتزلهم أو أن يفرض وجوده معهم. لهذا السبب فالصفات السابقة لا يمكن أن تُثمر إلا بتغذية من الجماعة ولهذا السبب فقد أطلق على مضمونها اسم "الذكاء الجماعي"

<u>سعة الصدر:</u>

سعة الصدر هي نفسها الحلُم ولكن تم اختيار لفظة "سعة الصدر" حيث أن الحلم له تعاريف كثيرة.
سعة الصدر ليست مشابهة لكظم الغيظ. كظم الغيظ يكون في القدرة على ستر المشاعر ومنعها من الظهور. فكاظم الغيظ يصل له الغضب أو الضيق الشديد لكنه قادر أن يستر هذه المشاعر. واسع الصدر يتحكم في مشاعر الغضب والضيق نفسهما، فمشاعر الغضب والضيق لا تأتيا لصدره إلاّ في ظروف استثنائية، وإن ظهرت عليه إمارات الغضب والضيق فربما أنها بإرادة منه ولهدف يريده ولم تظهرا هذه الامارات فجأة دون قصد منه.

هناك ثلاث مستويات لسعة الصدر: المستوى الأول هو سعة الصدر للآراء المخالفة. المستوى الثاني هو سعة الصدر للأخطاء غير المتعمدة من الآخرين، والمستوى الثالث هو سعة الصدر للأخطاء المقصودة والمتعمدة من الآخرين.

ضمن نظرة المؤلف فالذكاء الجماعي يحتاج الى المستوى الأول والثاني وبعضاً أو وسطية من المستوى الثالث.

يجب الانتباه أن سعة الصدر لا تتعارض مع الحزم. سعة الصدر تتعلق بعدم الاندفاع وراء مشاعر الغضب والضيق والانتقاد والسخرية. والحزم يتعلق بتنفيذ الأعمال حسب الخطة أو القوانين، وعليه فإن كان الرجل حازما ولكن دون أن يكون حزمه نتيجة مباشرة للغضب أو الضيق فإنه يكون حازما وواسع الصدر في آن واحد.

حسن الاستماع:

حسن الاستماع وهي القدرة على الاستماع لآراء الآخرين والتحكم بالرغبة الدفينة للمقاطعة أو الرد أو التوجيه أو الأَستَذَة (أي تعليم الآخر).

كما سبق ذكره فإن حسن الاستماع هي صفة فردية تغذيها الجماعة. فإذا حدث نقاش بين اثنين كلاهما متصفان بحسن الاستماع فإن نقاشهم سيكون مثمراً. أما إن حدث نقاش بين اثنين أحدهما حسن الاستماع والآخر سيئ الاستماع فإن الرجل ذو الاستماع الحسن سأخذ في النهاية أحد المخارج التالية:

1) فرض بروتوكولات النقاش على الاجتماع.
2) الخروج من صفة حسن الاستماع وأخذ حق الكلام عنوة في المجلس، وهذا قد يؤدي الى الجدل.
3) استخدام مهارات عالية في الاتصال تجعل الآخر يصغي بانتباه.
4) انهاء النقاش بفكرة أن لكل إمرئ رأي مختلف.
5) الانسحاب من النقاش.

وقد يبدو من الناحية المنطقية أن حسن الاستماع ناتج عن سعة الصدر، ولكن الملاحظات أظهرت أن هناك رجال ذوي سعة صدر ولكنهم استماعهم قليل وهناك رجال ضيقي الصدر واستماعهم حسن. إن سعة الصدر كما ذُكر سابقاً تتعلق بعدم الاندفاع وراء الغضب والضيق، أما حسن الاستماع فتتعلق بعدم الاندفاع نحو المقاطعة والرد والتوجيه.

يجب التنبيه أنه في بعض الأحيان وبسبب ضيق الوقت أو نقص في العلم، فإن الرجل عليه أن يقاطع الآخر ويرد عليه ويوجهه ويعلمه. ولهذا السبب فحسن الاستماع لا يتم تقييمها بالأحداث المنفردة إنما يتم تقييمها بالطبع الغالب على الشخص.

الجدية والالتزام بالمسئولية:

الجدية والالتزام بالمسئولية هما صفتان متشابهتان ولذا وضعا معاً، خصوصاً أنه لا يوجد التزام بالمسئولية دون وجود الجدية.

الالتزام بالمسئولية هو الالتزام بالقوانين والاتفاقيات والوعود. وكما سبق ذكره فإن الالتزام بالمسئولية والحزم صفتان متلاصقتان.

قد يظهر أن الالتزام بالمسئولية وسعة الصدر متعارضتان ولكن بالمقارنة: فإذا كان لرجل التزام كبير بالمسئولية ولكنه كان ذي صدر ضيق فإنه سيكون كضابط الشرطة الفظ في محيطه، فأي مخالفة تحدث فإنه سيشعر مباشرة بالضيق وسيتوهم أن اهمال هذه المخالفة سيؤدي الى مخالفة أكبر فأكبر حتى يتحطم المجتمع. فيكون انتقاداته اللاسعة كما لو كانت هذه المخالفات الصغيرة مصيرية.

في حين إذا كان للشخص سعة الصدر ولكن التزامه بالمسئولية ضعيف فإن التسيب والفوضي ستكون هي الغالب في نشاطه.

أما إذا امتلك الرجل الصفتين معاً: سعة الصدر والالتزام بالمسئولية، فإن التقاء هاتان الصفتان سيؤدي الى صفة نادرة وهي الاهتمام والحزم في الأمور الأساسية ونظرة التسامح والتعقل في الأمور الثانوية.

الطبائع الأربعة الفرعية:

الأدب والدبلوماسية:

الأدب والبلوماسية تأتي أجلاً من سعة الصدر والالتزام بالمسئولية. وتم وضع الأدب مع الدوبلوماسية لأن الدوبلوماسية هي أداة المؤدب في مواجهة الجميع، فالدوبلوماسية هي فن الإيحاء والتلميح. وتقاس بمدى المهارة في اختيار الألفاظ وتَعمد التصرفات التي تحدد وبوضوح الإيحاءات المطلوب إرسالها. وتسمح هذه المهارة من التصرف بحزم ووضوح دون الحاجة لأي انتهاك لأعراف الدماثة وحدود الأدب. ومع وجود الظروف التي تكون فيها الدبلوماسية غير مناسبة إلاّ أنه في الظروف العادية تكون الدبلوماسية هي أنجح الأساليب لنقل المعني دون تجريح وانتقاص.

النظرة العملية (البراغماتية):

لكل مجتمع قوانينه والتي تحدد وتنظم علاقة الفرد بالمجتمع. هذه القوانين تحدد واجبات الفرد وحقوقه. وبالإضافة لهذه القوانين فإنه توجد هناك الأعراف والتقاليد غير المكتوبة والتي ورثها الأبناء من الأجداد. ضمن هذه النظرة فهناك ثلاثة طبائع تحدد نظرة الفرد الى القوانين والتقاليد: النظرة المحافظة، النظرة العملية، والنظرة المتمردة.

النظرة المتمردة لا تعبأ بأعراف المجتمع ولا تعبأ بقوانينه، خصوصاً إذا تعارضت هذه القوانين والتقاليد مع المصلحة.

النظرة المحافظة تحاول الحفاظ على أعراف المجتمع وتقاليده وتحاول سن القوانين التي تمنع العبث بتقاليد المجتمع دون النظر الى المصلحة.
أما النظرة العملية فهي لا تعبأ بالأعراف والتقاليد ولكنها تلتزم بالقوانين، وإذا ما تعارضت القوانين مع المصلحة فإنهم سيحاولون تغيير القوانين بالطرق القانونية.

لتطبيق التعريف السابق على المجتمع الاسلامي فإن الأحكام الشرعية مقسومة الى خمسة أنواع رئيسية: الفرض والمستحب والحلال والمكروه والحرام. بالاضافة لهذه الأحكام الشرعية فإن لكل إقليم في العالم الاسلامي تقاليده وأعرافه. ولم تأت هذه الأعراف والتقاليد من الاسلام بل جاءت من تجارب الآباء وخبراتهم وأخذها الأبناء بعدهم.

وكعادة الطبيعة البشرية، تكتسب هذه الأعراف والتقاليد في منطقة العقل الباطن قدسية القوانين. كمثال على ذلك أنظر لأعراف الزواج في كل إقليم من العالم الاسلامي فستجد أن لكل إقليم أعرافه وتقاليده وستجد أن كل من يخالف الأعراف والتقاليد سيتعرض لانتقادات عنيفة من المجتمع في ذلك الاقليم. ومع أن ا قد أحل في قرآنه وبلفظ صريح واضح التعدد في الزواج إلا أنه في كثير من الأقاليم الاسلامية فإنه من يتجرأ على التعدد فإنه يتعرض لانتقادات شنيعة وكأنه خرج عن الملة الاسلامية.

النظرة العملية هنا تقتضي الالتزام بالأحكام الشرعية وعدم العبأ بالأعراف والتقاليد الوضعية إن كانت تتعارض مع المصلحة. بل إن النظرة العملية قد تشجع على البحث بعمق لهذه الأحكام الشرعية إذا ظهر احتمال أن فهمنا لهذه الأحكام غير دقيق.

والأحكام الشرعية الملزمة والتي تكون فوق النظرة العملية هي الفرض والحرام. أما باقي الأحكام فتقع ضمن الجائز وعليه تجوز النظرة العملية فيهم.

<u>برودة الأعصاب:</u>

برودة الأعصاب هي نفسها الأناة، ولكن تم اختيار لفظة "برودة الأعصاب" حيث أن الأناة لها تعاريف كثيرة.
لا تتعارض الأناة مع سرعة البديهة ولكنها تتعارض مع التسرع. فسرعة البديهة هي سرعة الاستغلال لفرصة سانحة. أما التسرع فهو الانجرار وراء مشاعر آنية عند تنفيذ الخطة. وعليه فإن برودة الأعصاب هي فصل المشاعر الآنية عن العقل عند تنفيذ الخطة.
هناك الكثير من المشاعر الآنية ولكن أهمها وأكثرها تغلباً على العقل هن: الطمع والخوف والغضب والرأفة والفخر والكراهية والمحبة والكبرياء.

كمثال لما سبق فإن مصدر الثقافات والفلسفات في الغرب هو فرنسا ولكن المشكلة في فرنسا أن معظم خططهم تتأثر بالمزاجات اليومية لقادة الأجهزة الادارية عندهم. وهذا هو السبب الرئيسي لتخبطات السياسة الفرنسية في العالم.

خطوط التفكير المتوازية:

خطوط التفكير المتوازية هي قمة الذكاء الجماعي.وتحتاج هذه الطبيعة الى جميع الطبائع السابق ذكرها. خطوط التفكير المتوازية هي المهارة وبرودة الأعصاب في التعامل مع المتناقضات.

طبيعة الانسان لا ترتاح الى التناقض ولا ترتاح الى التعامل مع المتناقضات، ويبحث الانسان دائماً على تفسير كي يشرح ما يحدث من تناقضات، وعليه فعندما يتعرض الانسان لموقفين متناقضين فإن طبيعة الانسان العادية أنه سوف يأخذ أحدهما ويهمل الآخر. خطوط التفكير المتوازية تعطي المهارة للتعامل مع الموقفين معاً.

أحد الأمثلة على هذه المهارة هي ما فعلته بريطانيا مع أمريكا. فقد كان هناك صراع حقيقي بين بريطانيا وأمريكا على الشرق الأوسط منذ الخمسينات من القرن العشرين وحتي أول الثمانينات من القرن نفسه. في المقابل فقد كانت بريطانيا مهتمة باحتواء الاتحاد السوفييتي. لقد تعاملت بريطانيا بثلاثة خطوط متوازية مع أمريكا. ففي الخط الأول كانت بريطانيا تدير صراعاً حقيقياً وشرساً ضد أمريكا في الشرق الأوسط وفي الخط الثاني فقد كانت بريطانيا تقيم حلفاً حقيقياً مع أمريكا ضد الشيوعية، وفي الخط الثالث فقد كانت بريطانيا تقيم شراكة حقيقية مع أمريكا في مجال التجارة والصناعة. ولم يتأثر كل خط بالخط الآخر بل كان كل خط يتضافر مع الخط الآخر. والنتيجة التي انتهت اليها الأمور أن الخطوط التي أقامتها بريطانيا مع أمريكا قد أدت الى تنافر واضح بين الأجهزة الادارية في أمريكا للمصلحة البريطانية وبالأخص بين الجيش والخارجية الأمريكية.

في المقابل فقد كانت الطريقة التي اتبعتها فرنسا لمقاومة النفوذ الأمريكي هي المواجهة، فقد كانت فرنسا مصرة على تحويل الدولارات الأمريكية الى ذهب (الى أن قام نيكسون بفصل الدولار عن الذهب) وانسحبت من حلف الناتو نكاية في أمريكا، وبدأت مخططها في عمل الاتحاد الأوروبي ليكون قطباً ضد أمريكا. لم يكن عمل فرنسا خاطئ من الناحية الاستراتيجية ولكن عملها يبين بوضوح عدم قدرتها على التعامل مع المتناقضات.

أمثلة على الذكاء الجماعي:

١) إن صلاة سنة الفجر والظهر والمغرب والعشاء هي صلاة نفل، أي أنه يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها. والشخص أمير نفسه في صلاة النفل فيجوز صلاتها جلوساً أو قياماً.

الآن، إذا رأيت رجلاً صحيحاً معافى يقوم بصلاة الفرض كما تجب ولكنه يصلي صلاة السنة جالساً ودون عذر:

١) هل تكيل له الانتقاد؟
٢) هل تسخر منه بينك وبين أصدقائك؟
٣) هل تسخر منه في نفسك؟
٤) هل يتسع صدرك لهذا التصرف.

النقطة هنا أن الشخص أمير نفسه في صلاة النفل. وحيث أن الاسلام أعطاه هذا الحق، وهو بقيامه بهذا الحق لا يضر ولا يزعج أحداً، فلهذا فلا يحق لأحد انتقاده أو توبيخه أو السخرية منه.
أما إن شعرت بضيق أو توتر في الصدر أو رغبة للانتقاد أو السخرية فهذا دلالة على ضيق الصدر.

٢) في أحكام الوضوء هناك الواجب وهناك النفل. الواجب هو غسل الوجه والساعدين ومسح الرأس وغسل القدمين. أما غير ذلك فمن النفل.

الآن، إذا رأيت صديقاً لك يقوم بالواجب فقط من الوضوء ولا يقوم بأي شيء آخر:

١) هل تكيل له الانتقاد؟
٢) هل تسخر منه؟
٣) هل تقبل به إماماً في الصلاة؟
٤) هل يتسع صدرك لهذا التصرف؟

كما تم نقاشه ، فأنت إن شعرت بضيق أو توتر في الصدر أو رغبة للانتقاد أو السخرية فهذا دلالة على ضيق الصدر.

٣) لنفترض أن الخلافة الاسلامية قد قامت. وكما كانت الخلافة الأولى فإن الخلافة الثانية ستجمع بين قبائل وشعوب وأقوام مختلفين. وبالطبع فلا بد من وجود لغة مشتركة تجمع بين جميع هؤلاء الأقوام.

الآن، افترض أنك تستمع الى لجنة تنصح بأن لا تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للخلافة وإنما تكون هناك لغتان رسميتان. اللغة الأولى وهي العربية (ويتم تشجيعها) واللغة الثانية هي لغة سهلة القواعد وسهلة

التعلم. وتكون السياسة للمناطق والأقاليم أنه يتم تدريس اللغة المحلية (عربية كانت أو غير عربية) واللغة الثانية. أما اللغة العربية فيتم تشجيع دراستها بالتدريج. والسبب الذي وضعته اللجنة لهذا الاقتراح هو أن اللغة العربية هي من أصعب اللغات، وقواعدها هي من أصعب القواعد، وحروفها هي من أصعب الحروف. ولهذا فالمصلحة عند هذه اللجنة أن يتم اختيار لغة أخرى غير العربية كي تجمع بين أطراف الخلافة.

الآن، ما هو موقفك المباشر لهذه النصيحة؟

١) تقوم وبسرعة بشتيمة هذا الاقتراح.
٢) تقوم وبسرعة بانتقاد هذا الاقتراح واظهار ما تراه من عيوب.
٣) تستمع لهذا الاقتراح وتتفكر فيه قبل أن تحدد وجهة نظرك.

ضمن فهم المؤلف فإن قيام دولة اسلامية باختيار لغة غير العربية هو أمر ليس منكراً في الاسلام. وعليه فإن الاختيار الأول والثاني هي دلائل على ضيق الصدر وسوء الاستماع وعدم وجود النظرة العملية. يجب التنبيه أن نجاح النظرة العملية يتطلب عدم التأثر بالتقاليد والأعراف الوضعية وبالمشاعر الآنية.

الأعمدة الثلاثة للنجاح

هناك ثلاثة أعمدة يراها المؤلف ضرورية للنجاح الحقيقي لأي دولة:

١) نظام قيادة مؤسسية.
٢) ذكاء جماعي مرتفع.
٣) مهارات إدارية عالية.

يجب التنبيه أن هناك طبائع أخرى كثيرة وضرورية للنجاح كالطموح والشجاعة وغيرها. ولكن الطموح والشجاعة هي صفات طبيعية وموجودة في معظم المجتمعات ويمكن شحذها وتقويتها بإرادة وتصميم من قادة الأمة. أما الذكاء الجماعي فهي صفة غير طبيعية في المجتمع ونادرة في الحدوث ولا يمكن شراؤها، وإنما هي بذرة تُوضع وتُنمى ويحافظ عليها. ولهذا تم خصها بالذكر والتنبيه.

وأما المهارات الادارية فإنها ستأتي عاجلاً مع الذكاء الجماعي. إن المهارات الادارية ليست صعبة، ويمكن شرائها واحضارها ودراستها، ولكن وجود الذكاء الجماعي يجعل هذه المهارات تترسخ في الأجهزة الادارية، حيث أن حسن الاستماع وسعة الصدر والالتزام سوف يقدم بيئة آمنة ومريحة، لا لوم فيها ولا تجريح، تسمح بالتساؤل والنقاش والتدريب.

المؤلف على اقتناع أن بذرة الذكاء الجماعي قد زرعها الاسلام فينا، فالعبادات والأخلاق الحميدة هي صفات تسمح بخلق الألفة والانسجام عند المسلمين. والتحدي الآن هو: كيف يمكن أن نوقظ تلك البذرة ونرعاها في صدورنا؟.

من المناسب الانتباه الى الأيات الكريمة والأحاديث النبوية التالية:

قال الله تعالى:

وَأطيعوا الله ورسولَه ولَا تَنَازعوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهب ريحكُم واصبِروا إن الله مع الصابِرِين (٤٦) الأنفال.

"الذين يستَمعون الْقَولَ فَيتبِعون أَحسنَه أُولَئِك الذين هداهم الله وأُولَئِك هم أُولُوا الأَلْبابِ" (١٨) الزمر.

" ولا تَستَوِي الْحسنَةُ ولا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ كَأَنه ولِي حميم (٣٤) وما يلَقاها إِلا الذين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظ عظيمٍ" (٣٥) فصلت

" ادع إِلَى سبِيلِ ربك بِالْحكْمة والْموعظَة الْحسنَة وجادلْهم بِالتي هي أَحسن إِن ربك هو أَعلَم بِمن ضلَّ عن سبِيله وهو أَعلَم بِالْمهتَدين" (١٢٥) النحل

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (١٥٩) آل عمران

"لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" (١٨٦) آل عمران

"يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"(١٧) لقمان

"وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)" الشورى

وقال رسول ا عليه السلام:

قال نبي ا صلى ا عليه وسلم لأشج عبد القيس إن فيك لخصلتين يحبهما ا الحلم والأناة. رواه مسلم في الايمان.

عن عبد ا بن عمرو قال لم يكن رسول ا صلى ا عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم أخلاقا. رواه البخاري في الأدب.

أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. رواه مالك في الموطأ .

كيفية تقوية الذكاء الجماعي

هناك أسلوبان رئيسيان لتقوية الذكاء الجماعي:

١) تمارين وتدريبات الاسترخاء.
٢) التحكم في البرامج العقلية الاجبارية غير المرغوبة.

تمارين وتدريبات الاسترخاء:

هناك نمط شبه ثابت لما يحدث لضيقي الصدر: فإذا أخطأ زيد في حق جرير فإن جرير سيشعر وبشكل آلي دون انتباه بالتوتر، وغالباً ما يبدأ هذا الشعور بسخونة وضيق في الصدر. وتتضافر وتتسارع هذه الأحاسيس لتتحول لاحقاً الى النفور والغضب أو الانتقاد والسخرية.

تمارين وتدريبات الاسترخاء تساعد على التحكم في هذه الأحاسيس وبالتالي إيقاف النمط قبل تسارعه.
الملاحظ أن الصلاة إذا أقيمت بحقها فإنها تساعد على الاسترخاء والهدوء. ولكن لا ضرر أبداً من معرفة الأساليب الأخرى للإسترخاء كالتأمل والتنويم الذاتي. هذه التمارين منتشرة في كثير من الكتب كما يتم شرحها في الكثير من المراكز التدريبية.

التحكم في البرامج العقلية الاجبارية غير المرغوبة:

البرامج العقلية هي جزء من فلسفة العقل الباطن. البرامج العقلية هي المشاعر التي تظهر عندك والسلوكيات التي تحدث منك وبشكل آلي ودون انتباه أو قصد. مثال على ذلك هو قيادة السيارة فكثير من الناس من يقود سيارته وهو مستغرق تماماً في التفكير، ويقوم أثناء استغراقه في التفكير بالتوقف والتحرك والاتجاه يميناً أو يساراً وكل هذه الأمور قد قام بها وبشكل آلي. ولذا فيمكن القول أن لذاك الشخص برنامج عقلي متعلق بقيادة السيارة.

ميزة البرامج العقلية هي أنها تسمح للانسان القيام بأعمال ذكية دون انتباه أو وعي، فضمن ملاحظات "البرمجة اللغوية العصبية" فإن وعي الإنسان لا يستطيع أن ينتبه لأكثر من سبعة أمور في آن معاً. في حين أن العقل الباطن يستطيع أن يستحث الكثير من البرامج العقلية في آن واحد.

تنقسم البرامج العقلية الى قسمين: برامج إجبارية وبرامج اختيارية، وكلاهما ينقسمان الى قسمين: مرغوبة وغير مرغوبة.

البرامج العقلية الاجبارية هي برامج من الصعب إيقافها أو التحكم في مسارها.

أما البرامج الاختيارية فهي البرامج التي يمكن إقافها والتحكم في مسارها وتبديلها.

مثال للبرامج العقلية الاجبارية المرغوب فيها هي سرعة البديهة والتصرف عند الاحساس بالخطر. فعندما يشعر الانسان بالخطر فإن الجسم وبشكل آلي يدفع بهرمونات التحفيز الى جميع عضلات الجسم ويكون جاهزاً للتصرف.

أما الوسواس فهو مثال للبرامج العقلية الاجبارية غير المرغوب فيها. والوسواس هو أزمة سلوكية يقوم المرء فيها بتكرار عمل فوق حد اللزوم. مثال لهذه الأزمة: عد النقود، فالرجل ذو وسواس العد يقوم بعد نقوده مرة ثم يشعر بالشك فيقوم بعدها مرة أخرى ثم مرة أخرى ثم مرة أخرى. هذا الشخص لا يستطيع أن يتوقف عن العد، وهو إن حاول مقاومة نفسه فإنه سيشعر بضيق شديد في الصدر الى الدرجة التي ستدفعه في النهاية الى عد نقوده مرة أخرى. هذه الأزمة هي برنامج عقلي إجباري وغير مرغوب فيه.
هذا يشبه تماماً الرجل الذي يشتعل غضباً من خطأ صغير أو يكتئب من أي صد أو رفض بسيط.

والسؤال هنا هو كيف يمكن تحديد البرامج العقلية الاجبارية المرغوبة من البرامج العقلية غير المرغوبة فيها؟

عندما يشتعل الرجل غضباً من خطأ صغير ثم يندم على ذلك ثم يشتعل غضباً من خطأ صغير آخر ثم يندم على ذلك ثم يشتعل غضباً من خطأ آخر ثم يندم على ذلك، فغالب الظن أن هذا السلوك هو برنامج عقلي إجباري وغير مرغوب فيه. فالتكرار يدل على الجبرية والندم يدل على عدم الرغبة.

وهنا نأتي الى سعة الصدر وحسن الاستماع، فإذا كنت تندم بعد ضيق الصدر، ولاحظت أن قوة الارادة ليست كافية كي تحيط بهذه الصفة فهذا يدل أن الصفة عندك هو برامج عقلي إجباري، وأن ندمك يدل أنك توصلت الى نتيجة واضحة وهي أن هذه الصفة غير مرغوبة فيها.

وبالطبع فإنه سيكون من المفيد جداً إن تم التوصل الى طريقة تسمح بإلغاء البرامج الاجبارية غير المرغوب فيها أو تعديلها الى برامج اختيارية.

الطريقة لإلغاء البرامج الاجبارية أو تحويلها الى برامج اختيارية هي باستخدام تكنيكات البرمجة اللغوية العصبية. البرمجة العصبية فيها الكثير من الفلسفات والتكنيكات بعضها ناجح والبعض الآخر مشكوك فيه ولكنها أثبتت في كثير من الحالات نجاحاً باهراً في إلغاء أو تعديل البرامج العقلية الاجبارية غير المرغوب فيها. هذه التكنيكات أصبحت متوفرة في كثير من الكتب وأصبح لها معاهد كثيرة في الوطن العربي ومن المفيد الالمام بفلسفتها.

يجب التنبيه أن البرمجة العصبية أثبتت قدرتها على حل الكثير من المشاكل ولكن هذا لا يعني أنها تستطيع حل كل مشكلة لكل شخص. ولكن تجربة البرمجة العصبية مفيدة فهي إن لم تنفع، لا تضر.

في الملحق الرابع التابع لهذه الكتاب يوجد مقدمة مختصرة عن البرمجة اللغوية العصبية.

المهارات الادارية وسعة الادراك

ضمن فهم المؤلف فإن هناك ثلاثة أعمدة أساسية لنجاح الأمة أو المؤسسة، وهي قيادة مؤسسية، ذكاء جماعي، ومهارات إدارية.

وكما ذكر في الفصول السابقة فإن كان هناك نظام قيادة مؤسسية وذكاء جماعي مرتفع فإن المهارات الادارية تصبح تحصيل حاصل عاجلاً أو آجلاً، إذ يمكن شراء هذه المهارات ودراستها وتعلمها وبالتالي ترسخها في المؤسسة. على أية حال فإن هذا الفصل يتحدث عن بعض نماذج التحليل والتي تساعد على توسعة الادراك وبالتالي تقوية المهارات الادارية خصوصاً في البحث والتخطيط. النماذج التي سيتم نقاشها هنا هي: مواقع الادراك الثلاثة، وعجلة الادراك، والطبائع البشرية، ومناهج البحث والتحليل. والأخيرة سيكون لها فصل مستقل لأهميتها.

١) مواقع الادراك الثلاثة – (Perseptional Positions):

مواقع الادراك الثلاثة هي إحدى النماذج الأساسية في البرمجة العصبية. في هذا النموذج تنقسم النظرة لموضوع البحث الى ثلاثة زوايا: نظرتك الشخصية، نظرة الخصم، النظرة الواقعية المجردة.

النظرة الأولى واضحة ولا تحتاج الى شرح. أما في النظرة الثانية فالمطلوب هو أن تتقمص* الخصم وتحاول استشعار عواطفه واستحضار أفكاره. الهدف من هذه الزاوية هو محاولة إدراك نظرة الخصم كما لو أننا هم وفي مكانهم. الزاوية الثالثة هي زاوية النظرة المجردة من عواطفك أو عواطف الخصم وكأنك في هذه الزاوية تأخذ مكان الذي يراقبك ويراقب خصمك. وميزة هذه الزاوية أنها تنبهك الى أمور قد تكون غافلاً عنها.

إن أحد أسباب ضيق الصدر هو التوهم الخاطئ لنية ودوافع الآخرين. فإذا أخطأ زيد في حق جرير وبدأ جرير بالتوهم والتسرع في دوافع زيد فإنه من الطبيعي أن يصل جرير الى حالة الضيق، ولهذا فإنه يوجد علاقة واضحة بين ضعف الادراك وضيق الصدر. إن هذا النموذج هو أحد النماذج الجيدة لتوسعة الادراك.

تطبيق هذا النموذج ليس سهلاً في البداية ولكنه مثمر وفعال، وتكنيكات البرمجة اللغوية العصبية توفر أدوات جيدة تسهل ممارسة هذا النموذج.

---

* هناك دلائل تفيد أن أسلوب التقمص كانت تستخدمه بعض المخابرات الأوروبية قديما للتنبأ. فقد كان أحدهم يحاول تقمص قيادة الخصم وبكل ما عنده من معلومات عن هذه القيادة. وكانت الفكرة أنه إذا استطاع أحدهم تقمص الثاني الى الدرجة الكاملة فإنه قادر على التنبأ بتفكيره وقراراته.

٢) عجلة الادراك:

ما من ديانة ظهرت على هذه الارض إلا وتشققت الى اطراف وأخذ كل طرف يشتم الآخر. ولم ينجو الاسلام من هذه الظاهرة، فكثير من الكتل الاسلامية تنادي بأن الاسلام هو الحل، ولكن كل كتلة تفهم الاسلام بطريقتها وتشتم الكتل الأخرى.

ولكن المؤلف يعلم أن الاسلام ليس كباقي الديانات وعليه فإن المؤلف على اقتناع أن الاسلام قد وضع خطوطاً تُساعد على الاجتماع وتُبعد شبح الشقاق. وأهم هذه الخطوط هو أن الاسلام وبكل وضوح قد أجاز الاختلاف في فهم الأحكام الشرعية، أو بمعنى أصح فإن الاسلام قد أجاز الاختلاف في الأمور الظنية من الأحكام الاسلامية، يشهد على هذا قصة صلاة الظهر في غزوة بني قريظة:

"قال عبد ا بن عمر: نادى فينا رسول ا صلى ا عليه وسلم يوم انصرف عن الأحزاب أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول ا صلى ا عليه وسلم وإن فاتنا الوقت فما عنف واحدا من الفريقين" رواه مسلم في الجهاد.

في المقابل فإن هناك أحكام لا تنفع النية الحسنة في الخطأ فيها:

"بعث النبي صلى ا عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال أليس قد أمر النبي صلى ا عليه وسلم أن تطيعوني قالوا بلى قال قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض قال بعضهم إنما تبعنا النبي صلى ا عليه وسلم فرارا من النار أفندخلها فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى ا عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا إنما الطاعة في المعروف" رواه البخاري في الأحكام.

وهناك في الاسلام أحكام بينة ثابته مستخرجة من أدلة صريحة وهناك أحكام ظنية مستخرجة من أدلة ظنية، والوضع المثالي هو أن يتفق المسلمون على محكم الأحكام ويكون عندهم سعة الصدر الكافية كي يتفقوا على الاختلاف في الأحكام الظنية حيث أن الاختلاف فيها جائز.
وهذا معناه: الاتفاق على الأساسيات والاتحاد في الطريق وسعة الصدر في الفروعيات.

أما واقع الاختلاف بين المسلمين، فأسبابه التالية:

١) كتلة ترى أن الأدلة الظنية التي بحوزتها هي أدلة صريحة ولذا فهي ترى أن رأيها هو من محكم الأحكام وبالتالي فتقوم بتأثيم الكتل الأخرى.

٢) كتلة ترى الأدلة الصريحة فتعتبرها ظنية وبالتالى يقوم الآخرون بتأثيمها.
٣) كتلتين يرى كلاهما أن أدلتهما ظنية ولكن ضيق الصدر وسوء الاستماع يمنعهما من التسامح بينهما واحترام كل منهما لرأي الآخر.
٤) كتلة تقوم بإلصاق الرأي بالأدلة الشرعية بعد هندسة هذه الأدلة وترتيبها وتشكيلها ليتفق رأيها مع المصلحة أو العرف أو العاطفة.

النوع الأول هو الغالب في الجماعات السلفية والنوع الأخير هو الغالب عند العلماء الواقفين على أبواب الأنظمة الوضعية، والنوع الثالث هو النوع الغالب على باقي الأمة.

بالطبع فإن انتشار سعة الصدر وحسن الاستماع والجدية في الأمة فإن علماء الأمة سيتمكنون يوماً (إما رغبة أو حرجاً) من الجلوس معاً ويتناقشون خلافاتهم بأعصاب هادئة وبقواعد نقاش واضحة. وعلى الأغلب فإنهم سيتفقون على البينات الواضحات والتي ليس منها مهرب. ويؤدي هذا الى بداية الوحدة الأساسية بين المسلمين وهي "إتحاد في الطريق واختلافات في النظرات الظنية".
كمحاولة لتسريع هذه الوحدة فإن النموذج التالي (عجلة الادراك) قد يكون مناسباً لردم الخلاف، كما أنه وسيلة جيدة كذلك لاستدراك الأخطاء في الاجتهاد. هذا النموذج هو تطوير لنموذج "مواقع الادراك الثلاثة" السابق ذكرها. وتنقسم هذه العجلة الى خمسة زوايا وهي:

١) الرأي المتبنى، ٢) نظرة المشاعر، ٣) الإحاطة والتأصيل، ٤) نظرة الخصم، ٥) والنظرة العقلية المجردة.

الإحاطة والتأصيل
نظرة المشاعر
الموضوع المطروح
نظرة الخصم
الرأي المتبنى
النظرة العقلية المجردة

الرأي المتبنى:

وهو الرأي الذي تحمله الآن عن حكم الاسلام في هذا الموضوع المطروح. هذا الرأي قد يكون إجتهاداً أو اتباعاً أو تقليداً. النقطة هنا أنه حتى وإن لم تكن مصدر هذا الرأي وأنك فقط قمت بالاتباع أو التقليد، فلأنك قد اقتنعت به أصبح كذلك رأيك.

نظارة المشاعر:

هذه الزاوية هي المشاعر التي يحملها صدرك تجاه الموضوع المطروح. عند المبتدئين في هذا المجال فإن المشاعر تكون مختلطة ومتحدة بالرأي. نقطة الاحتراف تبدأ عندما تستطيع أن تفصل بين الرأي ونظارة المشاعر. مثال لذلك: افرض أن هناك رأي مستخرج بشكل صحيح من الأدلة الشرعية الظنية. الآن صحة الاستخراج لا تعني أبداً أن هذا الرأي صحيح وذلك لأن صحة الرأي تتطلب الفهم الصحيح للأدلة الشرعية، ولكن حيث أن الأدلة ظنية فإن الاختلاف فيها جائز. وحيث أن هذا الرأي هو الرأي الغالب في المجتمع فأنت بالطبع ملتزم به، ولكن ربما يكون صدرك غير مرتاح له لسبب أو لآخر. عدم الراحة في الصدر ستعطيك الطاقة لسهر الليالي وإلتهام الكتب لمعرفة فيما إذا كان الفهم للأدلة الشرعية السابقة صحيحاً أو خاطئاً.

قال رسول ا   عليه السلام: "يا واصبة، استفت قلبك واستفت نفسك، البر ما اطمأنت إليه النفس والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك" رواه أحمد عن واصبة بن معبد.

النقطة الفصل هنا أن المشاعر لا تُعطي أبداً دليلاً على الصحة أو البطلان، وإنما تعطيك الطاقة الدافعة للبحث والتنقيب.

أحد الأمثلة التي يمكن وضعها هنا هو موضوع نظام إعادة الانتخاب لمنصب الخلافة، أي أن تكون بيعة الخليفة لأجل ثم يتم إعادة انتخاب الخليفة من الأمة أو ممثليها. فمنذ الخلافة الراشدة الأولى والأعراف المتبعة هو أن الخليفة يحكم حتى الموت، فكانت هذه النظرة هي الغالبة حتى الآن.ولم يكن صدر المؤلف مرتاحاً لهذه النظرة ولكنه لم يقم بالتخلي عنها حتى وجد الأدلة الشرعية والتي تؤكد أن البيعة للخليفة عقد تنطبق عليه أحكام العقود وأنه لا يوجد أي دليل واضح يحرم البيعة لأجل وإعادة الانتخاب (راجع كتاب "فلسفات الحكم والدستور" للمؤلف).

الأمر الآخر هنا أن الفراسة تحدث عندما تنفصل المشاعر عن العقل وتتعاضد قوتهما معاً. فعندما يحب الرجل الهاوي شيئاً فإن مشاعره ستمنع عقله من رؤية الأمور السيئة في ذلك الشيء، وإن كره شيئاً فإن مشاعره ستمنعه من رؤية محاسن ذلك الشيء. وعندما تنفصل نظارة المشاعر عن العقل فإن الذي سيحدث هو أن انتباه العقل سيكون في جهة وأن انتباه المشاعر ستكون في جهة أخرى وسيكون تعاضدهما مصدراً في قوة الادراك.

الإحاطة والتأصيل:

الأحاطة والتأصيل هي أهم خطوات الاجتهاد.
الأحاطة هي معرفة آراء السابقين وأدلتهم في هذا الموضوع. وأهمية الإحاطة أنها الدليل الوحيد لعلم المجتهد بغض النظر إذا كان المجتهد مشهوراً أو مجهولاً. أي أن الإحاطة هي دليل على أن الرجل عالم بهذه المسئلة على الأقل. وبغير الإحاطة فلا يوجد أي دليل على علم الرجل، فربما كان الرجل مشهوراً بالعلم ولكنه في هذه المسئلة جاهل، وربما الرجل يكون مجهولاً ولكنه شديد العلم في هذه المسئلة.

الإحاطة لا تعني أبداً وضع الأراء المشابهه لرأيك. الإحاطة هنا تعني معرفة مجمل الآراء المتشابهة والمختلفة والمتعارضة، وهنا تكون قد استطعت أن تحيط بكامل زوايا الموضوع.

كذلك فإن الإحاطة تعطيك ثلاثة أمور أخرى: أولها أنك لا تبدأ من الصفر وإنما تبدأ حيث انتهى الآخرون، وثانيها أن تلاطم الأفكار وتعارضها والتي تحصل عليها من الإحاطة ستعطيك مصدراً للانتباه والإبداع، وثالثها أنك حتى وإن لم تكن كقدرة ومهارة وعلم السابقين فإنك إما ستكون بمستواهم أو بمستوى أفضل منهم في الموضوع المطروح، فإن الرجل الذي يجلس على كتف العملاق فإنه إما سينظر بنفس مستوى نظر العملاق أو سينظر بمستوى أفضل منه.

أما التأصيل فهو إرجاع الرأي والأدلة الى الأصول الشرعية. أي أن التأصيل يبحث فيما إذا كان الرأي قد تم استخراجه من الأدلة الشرعية باستخدام الأصول الشرعية الصحيحة، أم أن هذه الأدلة الشرعية قد تم ترتيبها وجبرها وهندستها ثم إلصاق الرأي عليها.

يجب التنبيه أن كثير من الخلافات الشرعية ناتجة عن اختلاف العلماء في القواعد الأصولية. ولإعطاء المثل فإن العلماء اختلفوا في النصوص الآمرة للفعل، فأحد المدارس الفقهية تقول أن الأصل في الأمر أنه للوجوب ما لم ترد قرينة تدل على حرفه الى الاستحباب. أما المدرسة الثانية فتقول أن الأصل في الأمر هو للاستحباب ما لم ترد قرينة تدل على حرفه الى الوجوب. مثال على ذلك هو قول رسول ا عليه السلام "أحفوا الشوارب واعفوا اللحى" (رواه مسلم في الطهارة)، فضمن المدرسة الأولى فإن اللحية واجبة وحلقها حرام، وفي المدرسة الثانية فإن اللحية مستحبة وحلقها غير حرام.

وعليه فعندما تقوم بعملية الاحاطة والتأصيل في الموضوع المطروح فأنت على الأغلب في موضع ستُدرك فيه أسباب الخلافات وتُميز بواسطته بين الأحكام البينة الصريحة وبين الأحكام الظنية.

النظرة العقلية المجردة:

هناك ثلاثة أمور قد تكون متضافرة أو متنافرة في النظرة، وهم الحكم الشرعي والمشاعر والنظرة العقلية المجردة. أما إذا كانت متضافرة فيكون هناك انشراح الصدر لفهم الحكم الشرعي وإن كان هناك تنافر فتكون المشاعر الدافع للبحث ويكون العقل مصدراً للانتباه. يجب الانتباه أن الحكم الشرعي هو الغالب في هذه الأمور وذلك لأن حق ا فوق مشاعر ونظرة الآخرين.

الحكم الشرعي هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد بالإقتضاء والتخيير والوضع. وتصنف الأحكام (مع أخذ الاعتبار لأحكام الوضع) الى خمسة: الواجب والمستحب والمباح والمكروه والحرام.

والأحكام الشرعية بمجملها هي هدى ورحمة للناس لقوله تعالى "ولَقَد جِئْنَاهم بِكِتَابٍ فَصلْنَاه علَى علْمٍ هدى ورحمةً لقَومٍ يؤْمنُون" (٥٢) الأعراف. ولكن الحكم الشرعي قد يحوى مشقة آنية ومنفعة آجلة كقوله تعالى "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وا يعلم وأنتم لا تعلمون" (٢١٦-البقرة، وقد تكون عقاباً كقول رسول ا عليه السلام "إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته" (رواه البخاري في الاعتصام) وقد يمنع مصلحة فردية لتحقيق منفعة جماعية كقول رسول ا عليه السلام "المسلمون شركاء في ثلاث الكلإ والماء والنار" (رواه أبو داود في البيوع). وهذه الدقدقة (أي قد يكون كذا وقد يكون كذا) قد تستمر دون أن نحيط بجميعها.

النقطة هنا أنه دون وجود نص واضح يشرح الحكمة من الحكم فإن الحكم قد يكون لتحقيق منفعة آنية أو منفعة آجلة، أو يكون لمنع ضرر آني أو لمنع ضرر آجل، أو يكون لمنفعة فردية أو منفعة جماعية، أو يكون لمنفعة مادية أو منفعة معنوية، أو يكون عقاباً أو امتحانا، الخ.

وعليه فإن ربط المنفعة والضرر بحكم شرعي معين هو أمر غير ممكن، أي أنك لا تستطيع أن تجزم أن هذا الحكم الشرعي سيجلب المنفعة، أو سيمنع الضرر، أو أن المنفعة آنية، أو أن المنفعة آجلة، الخ.

لهذا السبب فإن الأحكام الشرعية بمجملها هي هدى ورحمة للعالمين لقوله تعالى السابق ذكره، وأن الحكم الشرعي بمفرده هو تعبير عن إرادة ا لقوله تعالى "يا أَيها الذين آمنُواْ أَوفُواْ بِالْعقُود أُحلتْ لَكُم بهيمةُ الأَنْعامِ إِلا ما يتْلَى علَيكُم غَير محلي الصيد وأَنتُم حرم إِن الله يحكُم ما يرِيد" (١) المائدة. وأنه لا يوجد هناك علاقة مباشرة بين حكم معين وبين المنفعة والمضرة إلاّ إذا ذكرها النص صراحة.

ضمن ما سبق فإن مجال العقل لا يتداخل أبداً مع مجال الحكم الشرعي، فإذا كانت نظرة العقل أن هذا الحكم فيه المضرة أو فيه المصلحة فإن هذه النظرة لا تتداخل مع الحكم الشرعي. فالحكم الشرعي يتعلق بالحلال والحرام بغض النظر إذا ظهر أن هذا الشيء مضر أو مفيد. بمعنى أنه إذا ظهر للعقل أن هذا الشيء مفيد وكان حكم ا له أنه حرام، فإن على المسلمين الاستسلام لإرادة ا ، ونظرة العقل هنا لا تتداخل مع حكم ا ولا تؤثر في هذا الحكم.

مثال على ذلك فإنه الآن يوجد أبحاث كثيرة تؤكد فائدة خمرة العنب لصحة الانسان وأن نصيحة هذه الأبحاث أنه من الجيد والصحي أخذ كوب من خمرة العنب كل يوم.

ما هو شعورك لهذه الأبحاث؟ هل تشعر بالغضب وتريد القفز شاتماً هؤلاء واصفاً إياهم بالسذاجة والغباء. ولماذا ؟؟؟؟؟

إن حرمة الخمرة ليست مرتبطة بالمنفعة أو المضرة وإنما هي حكم ا تعالى فيها. وإنه لو استطاعت النظريات العلمية أن تثبت ضرورة الخمرة للانسان فإن هذا لن يغير شيئاً وهو ضرورة الاستسلام لإرادة ا بتحريم الخمرة. فالموضوع هنا في النهاية أن ا يحكم ما يريد.

هناك أمر آخر هنا، إن مسئولية المسلم في الأحكام الشرعية هي فهمها والالتزام بها ونشرها. ولكن لا توجد أي مسئولية لتبرير هذه الأحكام. والحكمة من هذه الأحكام هو أمر ويمكن أن تظهر بعضها ويمكن أن لا تظهر أبداً. وأما محاولة هندسة الواقع وجبر دلالاته لتكون تبريراً لأحكام الشرع، فليس هذا تصرف فيه تحري الصدق والدقة. فأن تحاول كل الجهد أن تثبت أن لحم الخنزير فيه كل الضرر هو أمر ليس فيه التحري للصدق، فأولاً إن ا قد حرمه ووصفه بالرجس ولكن لم يقل أن فيه المضرة، وثانياً فإن الأبحاث العلمية قد أثبتت بعض أضراره ولكنها أوضحت كذلك بعض فوائده، وإذا قمت بملاحظة الأنعام والحيوانات التي يؤكل لحمها فستجد لبعضها الكثير من الأضرار والفوائد. النقطة هنا أن ا قد حرم لحم الخنزير بالنص الصريح دون أن يذكر الحكمة، وعليه فبغض النظر إذا ثبت أن لحم الخنزير مضر أو مفيد فإن نظرة المسلم للحم الخنزير أنها حرام استسلاماً لإرادة ا . وعليه فإن قيام أبحاث علمية بإثبات مضار أو منافع لحم الخنزير لا يتعارض مع حكم ا ولا يتعارض مع الاستسلام لإرادته.

ضمن ما سبق فإن الاحكام الشرعية تتعلق بمعرفة حكم ا في أمر معين بقدر سعة فهمنا للأدلة الشرعية، وأن النظرة العقلية تتعلق بمعرفة المنفعة والمضرة لهذا الأمر بسعة إدراكنا لأسرار الكون. وأن مجال النظرة العقلية لا يتداخل مع مجال الأحكام الشرعية.

إن الذي يحدث حقيقة أن نظرة العقل بوجود المضرة تدفع المشاعر لعدم الارتياح وهذا ليس تعارض حقيقي بين العقل والحكم الشرعي وإنما تعارض مجازي وذلك لتأثير العقل على المشاعر، أما في حقيقة الأمر فإن مجال العقل لا يتداخل مع مجال الأحكام الشرعية.

هناك أمر آخر وهو أن الأحكام الشرعية ذات الأدلة الظنية يمكن أن يخطئ فيها الاجتهاد. ومن اجتهد فأخطأ فله أجر ومن اجتهد وأصاب فله أجران. ولكن الاجتهاد الخاطئ قد يجلب المضرة للمجتمع، وذلك لأن هذا الحكم ليس من وحي ا بل من صنع البشر.

قال عمر بن الخطاب لزياد بن حدير" هل تعرف ما يهدم الإسلام قال قلت لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين". رواه الدارمي في المقدمة.

وهنا نأتي الى بيت القصيد، فإذا كانت نظرة العقل أن هذا الحكم الشرعي به مضرة فإن هذا يكون تنبيهاً أنه ربما فهمنا للأدلة الشرعية غير صحيح، وتكون النظرة العقلية والمشاعر المنبه لنا والدافع لدراسة الأدلة الشرعية بتفصيل أكبر.

وهذا معناه أن النظرة العقلية لا تضع حلالاً ولا تضع حراماً وإنما تنبه وتدفع لدراسة الأدلة الشرعية ومن هذه الدراسة فإما أن يظهر لنا أن فهمنا كان خاطئاً ونستدرك الخطأ وإما أن فهمنا كان صحيحاً ونستسلم لإرادة ا تعالى.

وضمن ما سبق فإن خط الاحكام الشرعية وخط النظرة العقلية يمكنهما أن يسيرا بالتوازي فكل منهما ينبه الآخر في ويدفعه للبحث والدراسة كل في مجاله. ولتبيان هذا الأمر بصورة حقيقية فلنسأل ما يلي: ضمن الأدلة الظنية فإن الاجتهاد الخاطئ ممكن، والاجتهاد الخاطئ قد يؤدي الى اجتهاد خاطئ آخر وآخر، ومع أن هذا ليس بالضرورة ولكن غالب الظن أن الاجتهاد الخاطئ سيجلب معه المضرة، وكمثال على ذلك: اجتهاد علماء بغداء قديماً بقفل باب الاجتهاد. وفي أي نظام ديناميكي متشابك فإنه يحوي نظاماً داخلياً يسمح بتدارك الأخطاء، إذ بغير هذا النظام الداخلي فإن النظام العام سوف ينهار بتراكم الأخطاء عليه (راجع المنهج الديناميكي). وكان النظام الداخلى لتدارك الأخطاء عند بني إسرائيل هم الأنبياء، فلا يموت نبي إلا وظهر لهم نبي آخر. ولكن ما هو النظام الداخلى الخاص بتدارك أخطاء الاجتهاد عند المسلمين؟

ضمن فهم المؤلف فإن النظام الداخلي هو أن يتحرك خط الأحكام الشرعية بالتوازي مع خط النظرة العقلية دون تداخل بينهما، ويكون خط النظرة العقلية تنبيها لعلماء المسلمين وإثارة لمشاعرهم وأحاسيسهم لدراسة الأحكام الاسلامية مجدداً، ويكون خط الأحكام الشرعية تعبيراً لإرادة ا . قال رسول ا عليه السلام "يا واصبة، استفت قلبك واستفت نفسك، البر ما اطمأنت إليه النفس والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك" رواه أحمد عن واصبة بن معبد.

نظرة الخصم:

نظرة الخصم هي نفسها المشروحة في نموذج "مواقع الادراك". والمطلوب في هذه الزاوية هو معرفة الأسباب والمشاعر الحقيقية لنظرة الخصم، والهدف هو أن نظرة الخصم قد تنبهنا لأمور لم نكن ننتبه لها، كما أنها تعطينا إدراكاً لواقع وتفكير الخصم.

إن هذه العجلة ستعطي لك سعة الادراك للموضوع المطروح. أما النتيجة من هذه العجلة هو أمر يعود إليك، فهل النتيجة تستحق البحث والسهر والدراسة أم أن هذا الجهد لا حاجة له. أياً كان اختيارك فيجب أن تنتبه

تماماً أن حكم ا فوق نظرات العقل أو الآخرين، بمعنى إذا بدأت تشعر بعدم الاطمئنان لحكم، فإن هذا الشعور ليس عذراً أبداً لقيامك بالخروج عنه. وإنما هذا الشعور يكون الدافع لك بالسؤال والبحث والدراسة لاستوضاحه.

في هذه العجلة فأنت تستطيع أن تبدأ من أية زاوية ولكن الأفضل أن تقوم بعمل دورة كاملة والإحاطة بكل هذه الزوايا.

لنضرب المثل عن الزنا. وللاختصار فسوف يتم التركيز على نظرة الخصم والنظرة المجردة والرأي المتبنى، وذلك لأن حكم الزنا في الاسلام هو الحرمة الصريحة.

نظرة الخصم:

لنأخذ شخصاً غربياً وغير مسلم:

كثير من نظراتهم، رجالاً ونساء، أنه إذا لم يكن قادرين على إشباع غريزتهم من أزواجهم فإنهم أمام أمرين: إما الطلاق، وهذا مكلف ومحطم للعائلة، وإما إقامة علاقات سرية. وبالتالي فهم ينظرون الى العلاقات السرية أنها أخف الضررين. (هذه نظرة مختصرة وليست كاملة لنظرة الغرب للزنا).

النظرة العقلية:

إن هذه النظرة قد تكون دافعاً للنظر في ديناميكيات المجتمع الغربي. باختصار فإن المجتمع الغربي ومنذ العهد الروماني يمنعون التعدد. وإن الغريزة الجنسية لهي أقوى الغرائز الدافعة عند البشر والقليل منهم من يستطيع التحكم بهيجانها، أما الباقي فلا يستطيع إلا الغرق في طوفانها. فإذا حدثت المشاكل بين الأزواج فإن اشباع الغريزة سيتأثر. وإذا استمر هذا الحال فإنه سيؤدي الى الكبت ثم الانفجار، إذ لن يتوانى الناس ضعيفي المبادئ من النظر شراهةً الى غير أزواجهم.

الطريقة التي استطاعت فيها ديناميكية المجتمع الغربي (ومنذ العهد الروماني) من عمل التوازن بين مبادئ الأمة وكبت الأفراد هو النظرة الى الزنا والنظرة الى الرذيلة. فنظرة المجتمع الغربي الى الزنا والعلاقات السرية أنها مقبولة ما دامت سراً مصوناً، أما إذا انكشفت فهي عيب وضعف (وليست جريمة). أما الرذيلة فهي مترسخة في ثقافة المجتمع الغربي ومنذ القدم، ومع أن قوانين المجتمع الغربي تمنع أعمال الرذيلة (إلا هولندا)، غير أنها موجودة تحت بصر الأنظمة الغربية وإرادتها، وهدف هذه الأنظمة أن لا تتسع دائرة الرذيلة خارج السيطرة. إن الرذيلة هي أحدى صمامات الأمان عند المجتمع الغربي لامتصاص الكبت في المجتمع، وبغيره فإنه سيؤدي بالمجتمع الى الانفجار. طبعاً فهناك أضرار ضخمة من انتشار الزنا والرذيلة في المجتمع الغربي، ولكن نظرة المجتمع الغربي هو أن منع الانفجار يأخذ الأولوية من منع تلك الأضرار.

يجب التنبيه أن المؤلف لا يدعي أبداً أن أفراد المجتمع الغربي كلهم أو معظمهم يقيمون علاقات سرية أو أنهم يمارسون الرذيلة. إن هذا الإدعاء لا يصح إلا بعد أدلة واضحة، والظاهر أنه غير صحيح. إن المؤلف لا يدعي ذلك، وإنما يقول أن هناك نسبة تمارس الرذيلة ونسبة أخرى تقيم علاقات سرية.
وعندما ننظر الى ديناميكية المجتمع فإن اتزانها لا يتعلق بالمعظم من المجتمع بل يتعلق بالأجزاء المؤثرة فيه. أفضل مثال على ذلك هو الجريمة، فإذا فرضنا جدلاً أن هناك مدينة فيها ١٠٠ ألف نسمة وأن المعظم الغالب منهم متصفين بالصدق والأمانة، فإن مئة مجرم محترف قادر على أن يثيروا الرعب والهلع في قلوب هذه المدينة، ويؤدي هذا لاحقاً الى الشك والنفور ثم الشقاق. وديناميكية المجتمع في حل هذه المشكلة هي إقامة مراكز للشرطة والذي قد يحتاج الى ٣٠٠ رجل وظيفتهم أن ينشروا الأمان في مدينة قد لا يزيد مجرميها عن مئة رجل.

ضمن الادراك السابق فلننظر الى المجتمع الاسلامي الآن، فقد نلاحظ ما يلي:

١) نظرة المجتمع للزواج الآن هي نظرة أحادية، أي زوجة واحدة للرجل. ومع أن التعدد قد أحله ا بنص واضح إلا أن المجتمع الآن ينتقد التعدد وبحدة.

٢) حيث أن النظرة هي زوجة واحدة فقط في الحياة، فإنه من الطبيعي أن يبحث الرجال عن البكر من النساء. وهذا أدى في النهاية الى انتقاد المجتمع (صراحة أو ضمناً) من التزوج من المطلقة أو الأرملة.

٣) هناك نظرة الى الزواج أنها نظرة تملك أو نظرة استحواذ:

نظرة التملك هي نظرة الرجال الى الزواج أنها أقرب الى التملك منه الى الصحبة. ويتم تبرير هذه النظرة من أن للرجال على النساء درجة. والسؤال هنا: هل هذه الدرجة أقرب الى درجة السيد للعبد أم أنها أقرب الى درجة الأخ الكبير للأخ الصغير، وهناك فرق كبير بين الدرجتين.
أما نظرة الاستحواذ فهي نظرة المرأة للزواج، فإن هناك بعض النساء من أخذت من تكاليف الطلاق وتبعاته ضماناً لها أن زوجها لن يتركها، فاستغلت هذا الظرف لمصلحتها وأصبحت تأخذ ما تريد بالضغط والنكد.
لا يقول المؤلف أن غالب الزواج في المجتمع الآن هو نظرة تملك أو نظرة استحواذ، ولكن هناك نسبة كبيرة تأخذ هذه النظرة. وكما ذُكر سابقاً فإن أي نسبة صغيرة في المجتمع تصل الى حد التأثير فإنها إذا اضطربت فإنها تؤدي الى اضطراب المجتمع بأسره.

٤) ارتفاع تكاليف الزواج الى حد كبير لا معنى له. ولهذا الارتفاع أسباب منها رغبة التقليد وحب الظهور، ومنها رغبة الأهل لضمان مستقبل ابنتهم إن تجرأ الزوج في المستقبل على طلاقها.

الرأي المتبنى:

إن نظرة الاسلام للزنا والرذيلة هي الحرمة الصريحة وعقوبتها هي الجلد أو الموت رجماً. ولكن المؤلف على اقتناع أن الاسلام قد وضع نظاماً يسمح باستقرار المجتمع من هيجان الكبت الغريزي. وضمن ما أدركه المؤلف من النظرة العقلية المجردة فإنه قد انتبه أن الاسلام قد وضع ثلاثة أعمدة رئيسية تضمن استقرار المجتمع، وللأسف فإن هذه الأعمدة كلها منتقدة الآن في المجتمع:

1) تحليل الاسلام للتعدد دون انتقاد أو تنقيص.
2) تحليل الطلاق دون انتقاد أو تنقيص.
3) حق الخلع دون إعاقة أو انتقاد أو تنقيص.

التعدد:

هناك نظرة في الفقه وهي أن الأصل في الزواج هو التعدد وأن الاستثناء هو الواحدة، وذلك لقول ا تعالى: "فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" (٣-النساء). وكثير من الناس من يدعي أن الانسان لا يمكنه أن يعدل، ولكن الاستثناء هنا لم يعتمد على نظرة الناس للفرد، وإنما اعتمد على نظرة ذلك الفرد لنفسه، ويوجد كثير من الرجال من لا يخاف أن لا يعدل، ولكنه يخاف الناس.

إن التعدد هو الوسيلة الشرعية المباشرة والوحيدة (بعد أن تم إلغاء الرق) والتي يمكن فيها للمجتمع من امتصاص الكبت الغريزي للرجال. كما أنه الوسيلة الشرعية الوحيدة غير المباشرة والتي يمكن فيها للمجتمع من امتصاص الكبت الغريزي للنساء.

أما الرجال فهو أمر واضح لا يحتاج لتبيان. أما النساء فإنه إذا خلعت المرأة زوجها أو تم طلاقها أو مات عنها زوجها، وكانت هناك نظرة متسامحة من المجتمع للتعدد، فإن طلب الرجال للنساء سيزيد، للجميلات منهن والأقل حظاً. وهذا سيعيدنا الى العصور الأولى عندما كانت المرأة تخلع زوجها أو يتم طلاقها أو مات عنها زوجها فإن الرجال كانوا ينتظرون انتهاء عدتها لطلبها. ومن يقرأ قصص العرب يجد الكثير من الطرائف لتنافس الرجال على طلب النساء.

الطلاق:

إن سهولة الطلاق والخلع هما الضمانتان الوحيدتان لجعل العلاقة الزوجية هي علاقة صحبة وليست علاقة تملك أو علاقة استحواذ. وهما الوحيدتان اللتان تجعلا المشقة في الزواج تحملاً وصبراً وليس جبراً وكرهاً.

وإن أضيق الظروف على الانسان عندما يجد نفسه في طريق هو مرغم عليه كرهاً وجبراً، وإن ربما إذا اختار لأخذ نفس الطريق، فالظرف الأول هو الجبر والاكراه، والظرف الثاني هو الصبر والتحمل.

يقول الكثير أن الطلاق ظلم للمرأة وظلم للأولاد، ولو كان ظلماً ما أحله الله في كتابه. وقد حدث طلاق بين الصحابة والصحابيات وقد حدث خلع بين الصحابيات والصحابة ولم يأت أحد لهم وقال أن هذا ظلم وأن ذلك ظلم. أما ما يحدث الآن في المجتمع الآن فإن نظرة الناس الى وحدانية الزواج جعلت الكثير يبحث عن البكر من النساء خوفاً من شماتة الناس، فأصبحت المطلقات كبضاعة لا سوق لها. ويهمز ويلمز المجتمع من الزواج منهن وكأنهم يقولون: لم يجد بضاعة غير هذه. لم يكن الطلاق ظلماً ولكن الناس ظلموا، وكانوا بهمزهم ولمزهم وسخريتهم لعنة للجميع. أتريد خيراً جليلاً وعملاً عظيماً؟ هي أن تصد بحزم وشدة الهامزين اللامزين الساخرين في وجوههم علناً أمام الملأ. وبغير هذا فسيبقى الهمز واللمز والسخرية حاجزاً لعيناً يمنع المجتمع من العلا.

الخلع:

إن حق الخلع للنساء موجود في كتب الفقه ومشروح فيها وبكل التفصيل. ولكنه لم تكن هناك حاجة لعمل آلية لهذا الحق حيث أن حق الخلع للنساء كان معمولاً به قبل الاسلام وبعده. وكان يكفي في العصر الأول أن تُبدي المرأة الرغبة بالخلع فيقر القضاء هذه الرغبة مقابل أن ترد المرأة مهرها للزوج. وربما يكون هناك جدال في ما يجب على المرأة أن ترده فيكون الفيصل هنا هو القضاء. أي أن القضاء لا يحكم في حق المرأة في الخلع وإنما يقر هذا الخلع، ويكون الحكم في المال الذي يجب على المرأة أن ترده.
ولكن مع الزمن فقد أصبح الخلع بيد القضاء. أي تحول حق الخلع من يد المرأة الى يد القضاء، فإذا شاء القضاء أقر الخلع وإلا فإنه يرفض الخلع.

كما ذكرنا سابقاً، فإن الطلاق والخلع هما الضمانتان الوحيدتان لجعل العلاقة الزوجية علاقة صحية. وحيث أن الاسلام أعطى حكم الخلع للنساء فيجب أن يرجع هذا الحق إليهن. ويبدو في نظر المؤلف أنه من الأفضل عمل آلية• في عقد الزواج تسمح بالخلع دون الرجوع للقضاء. ويكون القضاء في المال الذي على المرأة إرجاعه للرجل.

•كإقتراح لهذه الآلية هو أنه عندما تُصرح المرأة بالرغبة في خلع زوجها فإنها تذهب لبيت أهلها لمدة أربعين يوماً. وأثناء هذه المدة يقوم رجل من أهلها ورجل من أهله بمحاولة الاصلاح بينهما. فإذا انقضت مدة الأربعين يوماً وكانت مصرة على الخلع فعندها يكون لها حق تطليق نفسها دون رجعة إلا بإذنها. والسبب في اختيار مدة الأربعين يوماً في هذا الاقتراح هو أن عدة المرأة عند موت زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام، وعدة المرأة عند الطلاق هي ثلاثة أشهر بالتقريب، والفرق بينهما هو الأربعون يوماً. ويكون حكم القضاء في المال الذي يجب على المرأة أن ترجعه لزوجها. وتوضع هذه الآلية شرطاً في عقد الزواج فيكون عندها ملزماً دون الرجوع للقضاء.

وهناك أمر آخر جدير بالانتباه. هناك نظرة عامة تقول أن الأصل في الزواج هو تكوين العائلة. ولا يعلم المؤلف أية عقوبة يضعها الاسلام لمن يؤخر انجاب الأطفال، ولكنه يعلم يقيناً حكم الاسلام في إشباع الغريزة بالزنا وهي الجلد أو الموت رجماً.

لقد صرح الاسلام بطريقتين شرعيتين لإشباع الغريزة وهي إمتلاك الإماء والزواج. أما الإماء فقد وصلت البشرية، والحمد ، الى اتفاق شامل على منع الرق، وبالتالي فإن الطريقة الاسلامية الوحيدة والمتوفرة لإشباع الغريزة هي الزواج. ولهذا السبب فإن غلبة الظن عند المؤلف أن الأصل في الزواج هو إشباع الغريزة.

بالطبع فإن تكوين العائلة لا يكون بغير الزواج وهو أمر مهم، ولكن هذا الأمر يأتي في المرتبة الثانية والثانوية بالنسبة للمرتبة الأولى، وذلك لأن عدم انجاب الأطفال ليس جريمة ولكن إشباع الغريزة بالزنا هي الجريمة.

قد يظن البعض أن الفرق ضئيل بين الاثنين ولكن الحق غير هذا، فإن من ينظر في وجدانه أن الأصل في الزواج هو تكوين العائلة فإنه سينظر الى زواج المسيار نظرة الكراهية والاحتقار دون التأكد من حلها أو حرمتها. أما من ينظر في وجدانه الى أن الأصل في الزواج هو إشباع الغريزة فإنه سينظر الى زواج المسيار على أنه أمر جدير بالدراسة والتمحيص.

وكذلك فإن الأصل الأول هو أحد أسباب ارتفاع تكاليف الزواج حيث أن البيت وضرورياته يجب أن تكون متوفرة كلها قبل ليلة الزفاف، إذ أن هذه هي ضروريات تكوين العائلة. في حين أن الأصل الثاني لا ينظر الى هذا الموضوع بنفس الحساسية.

إن استمرار النظر في أن الأصل في الزواج هو إشباع الغريزة سيفتح أبواباً وسيضع أفكاراً تتحطم فيها الكثير من الأعراف والتقاليد الوضعية في المجتمع. وأعلم أن الكثير سينزعج من هذه الأفكار، ولكن طريقة تفكير المؤلف في غاية الوضوح، فهو يرى ضرورة الالتزام بالفرض والانتهاء من الحرام أما ما بينهما فهو من الجائز الذي يقع تحت بحث الامكانية والفائدة والعواقب. وأما الأعراف والتقاليد الوضعية فهي لم تنبثق عن الاسلام وإنما وضعها آباؤنا لمصلحة وجدوها، فإن كان هناك مصلحة لاستبدال هذه الأعراف فليس لهذه الأعراف أية قدسية، وهذا هو بالضبط المقصود بالنظرة العملية. فإذا كانت هذه الأفكار الجديدة جائزة في الاسلام فإن النظرة تنتقل هنا الى عالم الامكانية والفوائد والعواقب، وهنا يتم البحث عن الفوائد التي يمكن أن يجنيها المجتمع بالمقارنة مع المشاكل التي يمكن أن يتعرض لها. فإذا أظهر البحث أن الفوائد تفوق في قيمتها المشاكل، كان هذا بداية لبحث الموضوع وبصورة أكثر جدية. أما إذا ظهر أن المشاكل تفوق الفوائد، فإن هذه الفكرة يتم إهمالها.

ولكن إن ظهر بعد البحث أن هذه الفكرة مخالفة لحكم الاسلام، فعندها يكون حق ا فوق الجميع، ويتم ترك هذه الفكرة مهما كانت فائدتها.

إن الأعمدة السابق ذكرها (التعدد والطلاق والخلع) لم يتم استخراجها من النظرة العقلية وإنما تم استخراجها من الاسلام. ولكن النظرة العقلية هي التي قامت بالتنبيه ودفعت للدراسة. فلهذا السبب فإن للأعمدة الثلاثة مصدران للقوة أولهما وأهمهما هو أنها أحكام شرعية أساسية، وحيث أنها مهملة فيجب إحياؤها، والمصدر الثاني هو انتباه العقل لضرورتها لإتزان المجتمع.

الآن لنضرب المثل في التعارض المجازي بين العقل والحكم الشرعي. فإذا جاء أحد الغربيين وسأل: لماذا يسمح الاسلام بالتعدد للرجال ولا يسمحها للنساء.

قد يظهر للغربيين عامة ولبعض المسلمين الجدد منهم أن هذا الأمر يتعارض مع النظرات العقلية، ولكن هذا الأمر في غاية الوضوح في الأحكام الشرعية، فالاسلام وبنصوص واضحة قد سمح للرجال بالتعدد ومنعها عن النساء، ولهذا فعند التعارض المجازي بين العقل والحكم الشرعي فإن حق ا فوق نظرة الجميع.

قد يستطيع البعض أن يقدم بعض الحكمة عن هذا الحكم الشرعي، ولكن المؤلف يدرك تماماً أن الخصم قادر على دحض هذه الحكمات لأنها عقلية، فإن أخبره الرجل كيف أن الأسد له بضعة إناث وليس العكس، فإن الخصم قادر على الاتيان بكثير من الأمثلة من مملكة الحيوان والتي يكون فيها تعدد الذكور.

في آخر المطاف، فليست مسئولية المسلمين أن يبرروا الحكم الشرعي، وإنما مسئوليتهم أن يفهموا الحكم الشرعي ويلتزموا به وينشروه. أما التبرير فهو أمر يظهره متى شاء، وقد نستطيع أن ندرك شيئاً من الحكمة ولكن بالتأكيد ليس الحكمة كلها.

وكما أن التبرير ليس من مسئولية البشر فإنه كذلك ليس من صفات تحري الصدق والدقة. فقيام البعض بهندسة الوقائع وترتيبها وجبرها كي يستطيعون تبرير الحكم الشرعي ليس صدقاً ولا دقة.
إن الطريقة الأمثل للرد على ذلك السؤال وأشباهه هو أن نظرة الخصم قد تكون نظرة عقلية واضحة وقد تكون هذه النظرة متفهمة، ولكن هذا الأمر له حكم واضح في الاسلام، ولهذا السبب فعلى المسلم الاستسلام لحكم ا . فإذا استمر الآخر في الجدل فإن الأفضل هو حرف الموضوع الى إثبات وجود ا وإثبات صحة الرسالة المحمدية. وذلك لأن استسلام المسلم لحكم ا كان بسبب ثبات وجود الرحمن وثبات صحة الرسالة.

هذه هي النقطة في هذا الموضوع. إن حكم ا فوق نظرة الجميع، ولكن يجب على النظرة العقلية أن تسير بالتوازي مع خط الأحكام لأنها النظام الوحيد الذي قد ينبهنا الى الخطأ في الاجتهاد.

٣) الطبائع البشرية:

اختلاف وجهات النظر بين الناس مردها الرئيسي هو اختلاف الطبائع بينهم. ففي الموضوع الذي يتطلب المخاطرة فإن نظرة الشخص الحذر تكون سلبية، أما الشخص المتهور فتكون نظرته إيجابية. وكل منهما سيقدم التبريرات والأفكار التي تثبت وجهة نظره، وليست هذه التبريرات والأفكار السبب في اختلاف وجهات النظر، وإنما السبب هو اختلاف الطبائع، فلكل واحد طبيعته التي حرفت تفكيره لإتجاهها.

إن اختلاف الطبائع قوة للفريق، وهذا إذا استطاع كل منهم أن يدرك طبائعه وطبائع الآخرين، وذلك لأن اختلاف الطبائع في الفريق معناه أن لكل واحد منهم زاوية مختلفة في النظر الى الموضوع، وفي هذه الحالة فيمكن للفريق ككل أن ينظر نظرة محيطة وكاملة للموضوع. المشكلة في اختلاف الطبائع أنه إذا لم ينتبه أفراد الفريق لاختلاف طبائعهم فإن الشقاق سيظهر عليهم ويسقط الفريق.

بالإضافة لما سبق فإن معرفة الشخص لحقيقة طبائعه تجعله قادراً على الانتباه لنقاط قوته ونقاط ضعفه، مما يساعده على تطوير مهاراته. كذلك فإن إدراك الإدارة للطبائع البشرية المختلفة تجعلها قادرة على معرفة الطبائع والمهارات اللازمة توفرها في الوظائف المختلفة، فالشخص المتردد لا يصلح أن يكون قائداً، والشخص اللين لا يصلح لإدارة الأزمات، والشخص الصلب الشديد لا يصلح لتحقيق الألفة بين المتنازعين، إلخ.

كل ما سبق يدلل على الأهمية الكبيرة لمعرفة وإدراك الطبائع البشرية المختلفة.
هناك الكثير من النماذج التي تقوم بشرح ودراسة الطبائع البشرية بشكل عام أهمها:

١) Myers-Briggs Personality Type Indicator
٢) Meta Programs in NLP
٣) Disk Profiling

وهناك الكثير من النماذج السلوكية الخاصة والتي تتعلق بجزئية من السلوكيات الادارية (كالتصرف تحت ضغط التوتر، والتصرف ضمن إطار الجماعة، إلخ) وكثير منها متوفر في الكتب وصفحات الانترنت.

ليس من السهولة إختصار العلوم المتعلقة بالطبائع البشرية في سطور قليلة ولهذا فإن المؤلف اختار شرح طبيعة واحدة عند الانسان (وهي أساليب التفكير). إذا أردت المزيد في هذا الموضوع فعليك بالكتب أو الانترنت (ضع في مولدات البحث النماذج السابق ذكرها)، أو أن تقوم بأخذ دورة تدريبية فيها.

أساليب التفكير:

هناك ثلاثة أساليب في التفكير• (أو إذا شئت ثلاثة أساليب في اتخاذ القرار):

١) الأسلوب الرقمي (ترجمة غير حرفية لـ Either/Or Thinking):
وهو الإختيار بين أمرين، فهو إما هذا وإما ذاك. وهذا هو أسلوب الحزم والقطع فهو إما الأبيض وإما الأسود، إما يميناً وإما يساراً، إما واحداً وإما صفراً. وهذا هو سبب تسمية هذا الأسلوب بالأسلوب الرقمي، وهذا الأسلوب هو الغالب عند الأشخاص ذوي الطبيعة الجدلية.

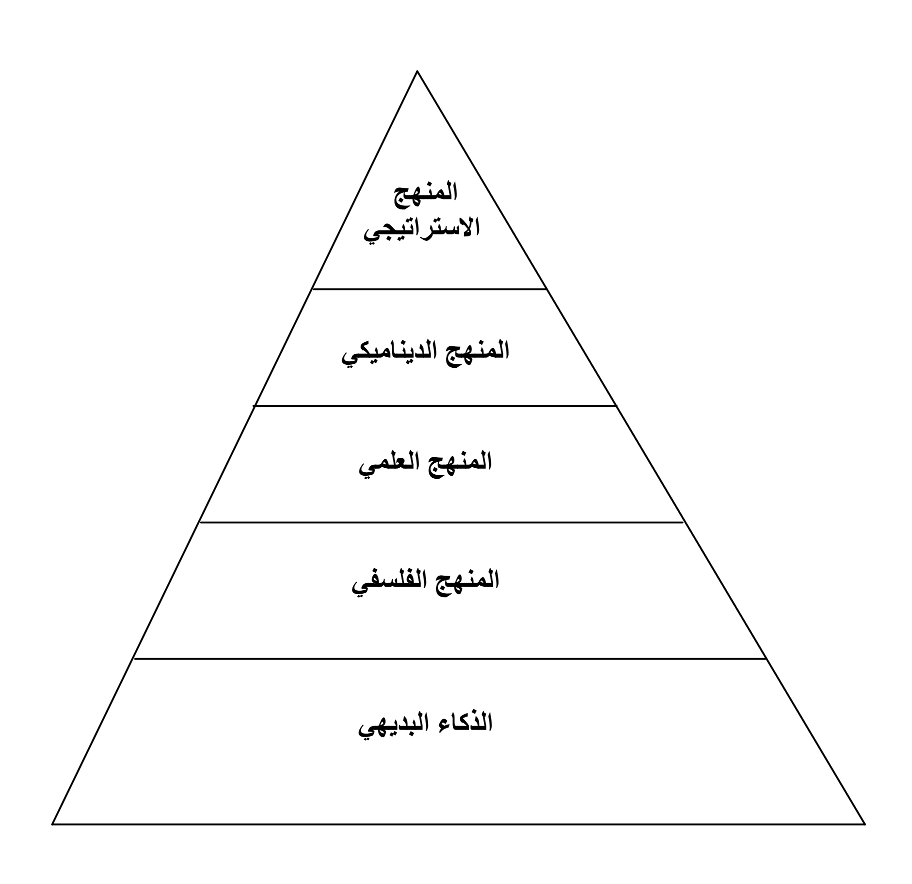
٢) أسلوب التوازن (ترجمة غير حرفية لـ More/Less Thinking):
وهذا الأسلوب يعمل على التوازن بين الاختيارات، فهو يختار بعض من هذا وبعض من ذاك. وهذا الأسلوب هو الغالب عند استخدام المنهج العلمي في البحث والتحليل.

٣) أسلوب التوازي (ترجمة غير حرفية لـ Both/And Thinking):
وهذا الأسلوب هو البحث عن طريقة مبتكرة لأخذ حسنات الاختيار الأول دون سيئاته وحسنات الثاني دون سيئاته، وبالتالي يسير الأمرين المتناقضين بالتوازي. وهذا هو الأسلوب الغالب عند استخدام المنهج الاستراتيجي في التحليل. وهو الأسلوب الذي تم شرحه في موضوع التفكير ذو الخطوط المتوازية.

• للاستزادة في هذا الموضوع راجع مقالة:
Phil Hanford, “Developing director and executive competencies in strategic thinking” (in) Developing Strategic Thought edited by Bob Garratt, (1995) UK: HarperCollins Publishers

المناهج في البحث والتحليل

مناهج التحليل هي القواعد والخطوات التي تقوم بها عند قيامك بالبحث والتحليل. وهناك أربعة مناهج رئيسية للبحث والتحليل: المنهج الفلسفي، والمنهج العلمي، والمنهج الديناميكي، والمنهج الاستراتيجي. وكل هذه المناهج تعتمد على قاعدة أساسية وهي الفطرة الطبيعية عند الانسان للربط والاستنتاج.



١) الذكاء البديهي:

هناك أمران يستطيع الانسان القيام بهما ببديهة وذكاء:

١) الانتباه للحدث والقدرة على استنتاج أسبابه واتخاذ القرار السريع والبديهي بخصوصه.
٢) الانتباه للعمل والقدرة على استنتاج نتائجه واتخاذ القرار السريع والبديهي بخصوصه.

والمقصود هنا بإتخاذ القرار السريع والبديهي أنه لم يكن هناك جهد في التفكير والتحليل وإنما تم القرار لحظياً. إن هذه المهارة هي التي تمكن الانسان من قيادة السيارة ببديهة دون انتباه وتمكن من القيام بخطوات وعمليات ذكية وبديهية أثناء اللعب (كلعبة التنس).

والسؤال الآن هو الكيفية التي يقوم بها الانسان بعملية الاستنتاج.
يمكن بحث الموضوع من أكثر من فلسفة ولكن هذا سيفتح باب النقاشات والخلافات لأن جميع هذه الفلسفات نظرية ولم تصل العلوم العصبية الى الدرجة الكافية لتحديد الكيفية الحقيقية التي يقوم فيها الانسان بالاستنتاج.

وعليه فمن أجل الاختصار فإن المؤلف لن يتعمق بالتعاريف الفلسفية المختلفة وإنما سيقوم بالدخول رأساً الى الافتراض. وهذا الافتراض يعتمد على ملاحظات ولكن ليس له أدلة علمية.

الفرضية الأولى: يعتمد الذكاء البديهي عند الانسان على قوة انتباهه، ووفرة بديهياته، وقوة استرجاعه للبديهيات والأحداث السابقة.

الفرضية السابقة هي تعديل لفلسفة الشيخ تقي الدين النبهاني عن التفكير وسرعة البديهة. فالعقل والتفكير عنده هو: نقل الواقع الى الدماغ مع معلومات سابقة تفسر هذا الواقع، وسرعة البديهة عنده هي قوة الإنتباه وقوة الربط.
البديهيات هي افتراضات أخذها الانسان مأخذ التصديق. والمصدر الأول للبديهيات هو ملاحظة النمط السائد في مجموعة من الأحداث السابقة فيقوم الانسان بتعميم النمط وتحويله الى بديهة. مثال ذلك هو ملاحظة أن الكوب يسقط على الأرض إذا تُركت، والكرة تسقط على الأرض إذا تُركت، فكانت البديهة هي أن الأشياء تسقط إذا تُركت. ومثال آخر فعندما يتعرف شخص على رجل من دولة فلانية ويراه سيئاً، ثم يتعرف على آخر ويراه سيئاً فإنه قد تظهر له بديهية وهي أن الفلانيين سيئون.

وقوة الانتباه في الفرضية السابقة لا تعني فقط الانتباه الى الأحداث، وإنما تعني كذلك الانتباه الى الأنماط السائدة في مجموعة من الأحداث، وهذا الانتباه هو الذي يزيد من وفرة البديهيات في العقل.

النقطة هنا أن الذكاء البديهي لا يعتمد كثيراً على استرجاع الأحداث السابقة وإنما على البديهيات التي نشأت عنده من هذه الأحداث السابقة. فربط الحدث الحالي بالأحداث السابقة لا يخلق استنتاجاً وإنما يسترجع أحاسيس. ولكن الاستنتاج يحتاج الى ربط الحدث الحالي بالبديهيات المتوفرة.

وعملية استخراج البديهيات من الأحداث هي كذلك عملية بديهية لا-وعي فيها. أي أن هذه العملية ليس فيها تفكير، وإذا استخدمنا فلسفة العقل الواعي والعقل الباطن فإن استخراج البديهية من الأحداث تكون في العقل الباطن. وإنما انتباه الرجل يكون على الأحداث. أما إذا انتبه الرجل الى عملية استخراج البديهيات فنكون قد خرجنا من الذكاء البديهي ودخلنا الى المنهج الفلسفي.

لنضرب المثال: يتعلم اثنان لعبة تنس الطاولة (أو أية لعبة أخرى) ويتقنها أحدهم بسرعة ولا يتقنها الآخر، وإذا قمت بسؤال الأول كيف استطاع اتقان اللعبة بهذه السرعة فربما لا يستطيع أن يجيبك. الغالب أن الأول قد استطاع أن يستخرج البديهيات المتعلقة بهذه اللعبة وبسرعة ودون وعي.

أما شدة الانتباه فتعتمد على أمرين: انتباه العقل الواعي للأحداث، والمهارات التي يمتلكها الشخص.

والمهارات بدورها تنقسم الى قسمين:

١) المهارات الأساسية والتي ولد بها الشخص. وتعتمد المهارات على التوزيع الكيميائي والجيني عند المولود. فعندما يولد الشخص فقد تجده مرحاً أو نكداً، نشيطاً أو كسولاً، الخ. وهذه الاختلافات ترتبط بالتوزيع الكيميائي والجيني للمولود. والشخص الذي يولد بمهارات يدوية قوية فإنه سيكون أكثر قدرة على الانتباه على الأحداث والأنماط التي تتعلق باليدويات، وأما الشخص الذي يولد بمهارات قوية في اللغة والكلام فإنه سيكون أكثر قدرة من غيره على الانتباه على اللغة والأنماط فيها.

٢) المهارات المكتسبة والتي استطاع الشخص تعلمها بالملاحظة والتفكير والمتابعة والمراس.

بمعنى آخر فإن الذكاء البديهي عند الانسان هي عملية تعاظمية، فيولد الانسان بمهارات مختلفة بعضها قوي، وبعضها وسط، وبعضها ضعيف. ثم يبدأ بالانتباه الى الأحداث والأنماط واستخراج البديهيات، ثم تزداد مهاراته، فيزداد انتباهه الى الأحداث فتزداد بديهياته فتزداد مهاراته وهكذا. وتزداد هذه العملية تعاظماً عندما يستعمل الانسان التفكير في استخراج البديهيات وتطوير المهارات.

إن القوة في الذكاء البديهي هو القدرة على إتخاذ القرار والتصرف السريع دون الحاجة الى التفكير، ولكن المشكلة أنه لا يوجد ضمان أن البديهيات المعتمدة صحيحة، وهنا كانت الحاجة لاستخدام مناهج في البحث والتحليل لمراجعة هذه البديهيات وتعديلها. بمعنى آخر أن الذكاء البديهي يتحرك بالتوازي مع مناهج البحث

والتحليل، فبالخط الأول يتم الانتباه ويتم سرعة إتخاذ القرار لإستغلال فرصة سانحة، ويكون الخط الثاني ضماناً لإستدراك خطأ البديهيات وتصحيحها.

٢) المنهج الفلسفي في البحث والتحليل:

المنهج الفلسفي هو أول مناهج التفكير. والتفكير هوعملية عقلية ينتج عنها فكر جديد. بمعنى آخر أنها العملية التي يتم فيها ربط فكر مع فكر آخر لإنتاج فكر جديد. والربط في هذه الحالة هو ربط لغوي وليس بديهي، أي يتم التعبير عن الأحداث والبديهيات بتعابير لغوية ثم يتم ربط هذه التعابير والأفكار بعضها ببعض باستخدام المعاني والألفاظ. ولهذا قال الأولون عن التفكير أنه حديث النفس للنفس، وقد ترى بعض الأشخاص عندما يفكرون بمشاكلهم وكأنهم يسألون السؤال ويجاوبونه، وهذا يسمى: التفكير بصوت مرتفع.

ما الفرق بين البديهية والفكر؟ البديهية قد يستنتجها الانسان دون وعي، أما الفكر فلا بد أن تخرج بعبارات واضحة. فالبديهية إذا تم التعبير عنها أصبحت فكراً. أفضل مثال على ذلك هي المهارات. فمهارة الشطرنج ومهارة لعبة التنس تتطلب بديهيات كثيرة، ولكن إذا سئلت الشخص عن هذه البديهيات فإنه بالكاد يستطيع أن يعرف بعضها. ولكن عندما يقوم المحترف بلعبة الشطرنج بتأليف كتاب عن مهارات هذه اللعبة فإنه يقوم بالتعبير عن بديهياته. وبالتالي فهو يقوم بتحويل بديهياته الى أفكار. وعندما يقرؤها المبتدأ ويتمرن على هذه الأفكار فإنه يقوم بتحويلها الى بديهيات عنده. أي أنه يقوم بالمراس بتحويل الأفكار الى بديهيات.

الآن، العمليات العقلية في الاستنتاج تقوم بخلط التفكير والذكاء البديهي بعضه ببعض، بمعنى أن الأفكار قد يتم استنتاجها من أفكار أخرى وبديهيات. والمشكلة في هذا الأمر أن الأفكار إذا تم إيضاحها فيمكن البت فيها إذا كانت معقولة أم لا، أما البديهية فمن الصعب أبداً البت فيها إذا بقيت خفية. كمثال على ذلك القول أن زيد من الدولة الفلانية، وحيث أن الشعب الفلاني بخيل، إذاً زيد بخيل. هذا الاستنتاج (زيد بخيل) هو فكر تم بناؤه على حدث (زيد من الدولة الفلانية) وفكر (الشعب الفلاني بخيل). وهذا الفكر (الشعب الفلاني بخيل) بنيت على بديهة مخفية.

ولحل هذه المشكلة بدأ الاغريق بوضع أساسات للتفكير سموها الفلسفة. وضمن هذه الاساسات فإن المنهج الفلسفي يتضمن ما يلي:

١) الملاحظة الدقيقة.
٢) وضع الفرضية.
٣) التقييم.

وهدف التقييم هو التأكد من صحة الأفكار وصحة الربط وإظهار أي بديهيات قد تكون مخفية وقد تكون أثرت على عمليات الربط، فإذا ظهرت هناك بديهيات مخفية فلا بد من التحقق من صحتها. وضمن التقييم للمثال السابق فإن السؤال سيكون: كيف حكمت أنت أن الشعب الفلاني بخيل. وعليه فإن المنهج الفلسفي أسلوب جيد لمتابعة وتعديل البديهيات التي يفترضها الانسان ويأخذها مأخذ الصدق.

القوة الحقيقية الثانية للفلسفة أنها لا تبحث بالضرورة عن ماهية الأحداث وإنما عن علاقة الأحداث بمحيطها. مثال ذلك هو العقل الواعي والعقل الباطن. فنظرة البحث الفلسفي أن الانسان له تصرفات واعية وله سلوكيات ذكية آلية وغير واعية. مثال ذلك قيادة السيارة والذهن منشغل بأمر معين. فكان أن وضعوا مصطلح العقل الواعي والعقل الباطن. هذا المصطلح لا يعبر بالضرورة عن الحقيقة وإنما يعبر عن علاقة معينة بين الانسان ومحيطه. هذه الفلسفة نجحت بالتنبأ بكثير من سلوكيات الانسان كما ساعدت على ابتكار تكنيكات كان لها الأثر الجيد في حل بعضاً من المشاكل السلوكية.

مثال آخر هو الإبر الصينية، فالصينيون يقولون بمسارات الطاقة في الانسان. ولكن هل هذا حقيقي؟
على الأغلب أنه ليس كذلك، ولكن هذه الفلسفة نجحت بجمع النقاط المتشابهة والتنبأ ببعض النقاط الأخرى واستطاعت تقديم تكنيكات مفيدة ساعدت على علاج الكثير من الأوجاع. فمسارات الطاقة ليست بالضرورة صحيحة ولكنها مفيدة.

ومثال آخر وهو في حل المسئلة التالية: إذا كان هناك قطاران أحدهما يسير بسرعة ٨٠ كم/الساعة والآخر يواجهه ويسير بسرعة ١٠٠ كم/الساعة. وكان بينهما ٩٠ كم. كم من الوقت يلزم لكي يتقابل القطاران.

لتسهيل المسئلة السابقة فإن الحل الكلاسيكي يقول بتثبيت أحد القطارين ووضع سرعته في القطار الثاني، فنقول أن القطار الأول ثابت والقطار الثاني يسير بسرعة ١٨٠ كم/الساعة. ثم يكون الحل هو أن القطارين سيتقابلان بعد نصف ساعة. إن هذا النموذج (وهو تثبيت أحد القطارات وإضافة سرعته للقطار الثاني) هو نموذج ليس صحيحاً ولا يعبر عن الواقع، وإنما هو نموذج مكافئ للواقع، ولسهولته فهو نموذج مفيد. ومن يدرس الفيزياء فسيجد الكثير من النماذج الرياضية غير الحقيقية، كالأعداد المركبة وتحويلات لابلاس، ولكنها نماذج مكافئة ومفيدة.

ضمن ما سبق فالفلسفة ليست بالضرورة صحيحة ولا خاطئة، إنما هي بحث مفيد إذا ساعد على التنبأ والتحكم بالأحداث.

على أية حال فإن للفلسفة ثلاثة جوانب ضعف:

1) من الصعب على الألفاظ والعبارات أن تصف الأحداث بمنتهى الكمال والدقة، مثال ذلك قولك أن هذه الطاولة من خشب، والخشب يحترق، ولهذا فإن هذه الطاولة قابلة للاحتراق. هذه عبارة واضحة ولكنها قد تكون خاطئة تماماً إذا ظهر أن الطاولة تمت معالجتها كيميائياً لتقاوم الاحتراق.

2) قد لا يكون الربط بين الأفكار ربطاً حقيقياً (أي ربط للمعنى واللفظ معاً) وإنما عمليات لصق. وبهذه الحالة فإنه يتم لصق عبارة بعبارة أخرى للخروج بعبارة جديدة. مثال ذلك قولك أن اليهود هم أكثر الناس تقديساً لأسلافهم، إذاً الحركة السلفية أصلها يهودي. أو أن فلان قد عاش في أمريكا، إذاً فلان عميل للمخابرات الأمريكية. أو أن فلان لا يصلي سنة الظهر، إذاً فلان يخالف سنة الرسول عليه

السلام. وكل هذه العبارات خاطئة والربط فيها غير حقيقي وإنما هي عمليات إلصاق.

٣) ليس بالضرورة أن يكون الربط قطعياً، بل هو ظني وقد يكون خاطئاً. مثال ذلك هو أن زيد أخو جرير، وجرير أخو سعيد، إذاً زيد أخو سعيد. الربط هنا قد يكون خاطئاً إذا كان زيد أخا جرير لأبيه، وجرير أخا سعيد لأمه. ومثال آخر: إذا زنى المحصن فرجمه واجب، فإذا لم يزني فرجمه غير واجب. طبعاً هذه الربط خاطئ تماماً.

وحيث أن الخطأ ممكن في الفلسفة فإن استنتاجات الفلسفة يجب أن تقع ضمن الاحتمالات وغلبة الظن. وهنا يكمن الخطر الأكبر في المنهج الفلسفي. إن أكبر أعداء الفلسفة هو الجدل وصناعة الكلام. إن الأسلوب الطبيعي في الاستدلال هو ربط الأفكار ربطاً مباشراً وبسيطاً وواضحاً، وفي هذه الحالة فإنه إذا كان هناك خطأ في الاستدلال فسيتم التنبه له بسرعة. أما إذا تم استخدام فنون الكلام فإن لفنون الكلام القدرة على خداع الشخص والمستمع على حد سواء.

المشكلة في الطبيعة الجدلية أنها تقوم بتحويل الفلسفة من نعمة الى ضرر، وذلك لأن الطبيعة الجدلية لا تؤمن بالاحتمالات ولا تعترف باللون الرمادي ولا ترضى بأقل من الإفحام، فهو إما هذا وإما ذاك، إما صحيح وإما خطأ، إما أسود وإما أبيض. والذي حدث عند الإغريق أن المنهج الفلسفي قد ارتبط بالطبيعة الجدلية، فنتج عن ذلك الأسلوب المنطقي في البرهان (علم الكلام وفنونه)، ولم يكن الأسلوب المنطقي أسلوباً في الاستدلال، بل كان أسلوباً في البرهان. المشكلة أنك لا تستطيع أن تبرهن الأفكار المتعلقة بأحداث المجتمع لأن هذه الأحداث في غاية التعقيد ولا يمكن الاحاطة بها تماماً في عبارات لغوية، وبالتالي لم يكن ممكناً القيام بربط قطعي في الأفكار المتعلقة بالانسان والمجتمع. والموضوع الوحيد الذي نجح فيه الأسلوب المنطقي هو الرياضيات وذلك لأن الرياضيات تعتمد على أفكار بديهية قليلة، وبالتالي كان الربط فيها واضحاً ومباشراً إعتماداً على تلك الأفكار البديهية.

المنهج الشرعي في استخراج الأحكام الشرعية:

من المناسب هنا التنبيه للتشابه بين المنهج الفلسفي والمنهج الشرعي. فالمنهج الشرعي يتعلق بمعرفة حكم الاسلام في حدث أو واقعة معينة. وضمن المنهج الشرعي فهناك أحكام وقواعد أصولية صريحة نتجت عن أدلة واضحة صريحة، وهناك أحكام وقواعد أصولية ظنية نتجت عن أدلة ظنية مختلف في تفسيرها.

والطريقة التي يتم بها استخراج الحكم الشرعي هو فهم الواقعة من جميع جوانبها ثم استخراج الحكم الشرعي من الأدلة المتعلقة بهذه الواقعة باستخدام القواعد الأصولية. والقواعد الأصولية للأدلة الشرعية تشبه تماماً القواعد النحوية للغة العربية. فالأصول الشرعية هي القواعد التي يمكن فيها فهم النصوص كما يمكن فيها التوفيق بين النصوص التي قد تبدو متعارضة.

ولكن هناك صفة في الاسلام عظيمة الفائدة من جهة ولكنها مزعجة من جهة أخرى، وهي أن الاسلام سهل ممتنع. أما أنه سهل فإنه إذا جاء العالِم ووضع اجتهاده الشرعي في واقعة وذكر أدلته فإنه من السهل للمستمعين أن يتابعوه وأن يفهموه، ومن السهل لهم أيضاً أن يميزوا إذا كان هذا الاجتهاد جاداً أم أنه تملقاً للسلطان. أما أنه ممتنع فهو أن جمع الأدلة واستخراج الحكم منها ليس بالعمل السهل.

الفائدة العظيمة من هذه الصفة هي صعوبة علماء السلطان من التحكم في أفهام الناس (قد يستطيعون لوقت بسيط، ولكن إذا جاء علماء الحق الى الناس فمن السهل على الناس التمييز). أما الصفة المزعجة والتي دامت منذ أواخر القرن الأول الى الآن وهي أن كل من أراد أن يدلي بدلوه في الاجتهاد، عالماً أو جاهلاً، حضر. وكان الجدل في الأحكام الشرعية ومنذ ذلك العصر الى الآن رياضة عقلية ومصارعة كلامية. وفي هذه المصارعة فإن النصر فيها ليس بالضرورة للأعلم، وإنما للمتحدث الماهر في فنون البلاغة. وقد اشتهر قول ينسب للشافعي (ما معناه): ما جادلت عالماً إلا أفحمته ولا جاهلاً إلا أفحمني.

يجب التنبيه أن النقاش في الأحكام الشرعية مفيد وذلك لأنه أسلوب عملي في نشر العلم بين الأكثر علماً الى الأقل علماً. المشكلة هي عندما يتحول النقاش الى مصارعة جدلية.

لقد ساعد ابتكار المنهج العلمي في البحث من التخفيف من حدة الجدل في العلوم الطبيعية، ولكن هذا المنهج يقوم على عمل الاختبارات، وهذا غير متحقق في الاجتهادات الشرعية. ولكن من الاستئناس بالمنهج العلمي والمنهج الفلسفي يمكن الخروج بخطوات واضحة للمنهج الشرعي في البحث تساعد على الحد من المصارعة الجدلية:

١) ملاحظة الواقعة من جميع جوانبها.
٢) الإحاطة والتأصيل.
٣) وضع الاجتهاد.
٤) التقييم.

النقطة الرئيسية والتي ستساعد على الحد من المصارعة الجدلية هي الاحاطة والتأصيل. الاحاطة هي معرفة اجتهادات السابقون في المسئلة المطروحة وأدلتهم. وليس المقصود هو الآراء المشابهة لرأي الشخص، وإنما لمجمل الآراء وعلى الأخص الآراء المخالفة. أما التأصيل فهو إدراك للقواعد الأصولية والتي استخدمها أولئك السابقين لفهم الأدلة الشرعية.

أهمية الاحاطة أنها دليل العلم في المسئلة المطروحة، وبالتالي فلا يهم إذا كان الشخص معروفاً أو مغموراً ما دامت عنده الاحاطة بهذه المسئلة وبأصولها. وبالتالي فبمجرد إحاطة الرجل بهذه المسئلة فإنه على الأقل يكون عالماً فيها.
إن هذا لن يمنع المصارعة وإنما إذا حدثت المصارعة فإنها ستكون بين عالم وعالم وليس بين جاهل وعالم وليس بين جاهل وجاهل.

أما التقييم فهو تقديم الأسباب والأدلة والتي تجعل الاجتهاد الجديد أفضل من السابق وتوضيح الطريقة التي قام بها المجتهد بالتوفيق بين الأدلة.

يجب الانتباه أن عدم وجود الاحاطة والتأصيل لا يمنع النقاش، وإنما سيمنع فرض الفكر والمصارعة. فمثلاً إذا تناقش زيد مع جرير وبدأ جرير بمحاولة فرض فكره فإن زيداً قادر أن يكون حازماً مع جرير بأنه إما أن يقوم بالاحاطة والتأصيل للمسئلة وإما أن يقوم بعرض أفكاره دون فرضها. أما المصارعة دون الإحاطة فهذا مرفوض.

السيطرة على الجدل:

كما تم بحثه فإن بذرة الانهيار للمنهج الفلسفي هو الجدل، إذ أن المنهج الفلسفي يعتمد على الاحتمالات وغلبة الظنون والقدرة على استدراك أخطاء الاستدلال عند ظهورها. أما الطبيعة الجدلية فهي لا تؤمن بالاحتمالات فهو إما كذا أو كذا، إما أبيض أو أسود، إما صحيح أو خطأ.

إن نظرة المؤلف أنه يجب أن تكون هناك مرونة في الأفكار الفلسفية وحزماً في الطريق، بمعنى أنه إذا غلب على الظن أن هذا هو الطريق الصحيح فإن الحزم هو إتباعه، ولكنك لا تمنع الناس من النظر في غيره. وهذه هي الفكرة: نظرات مختلفة للأمور ولكن إتحاد في الطريق. وبالطبع فلكي تنجح هذه الفكرة فلا بد للمجتمع من التحلي بذكاء جماعي مرتفع.

ومرونة الأفكار تتطلب الابتعاد عن الجدل. وتعريف الجدل عند المؤلف هو: محاولة إفحام الآخرين بالآراء الظنية. وبالطبع فلا يمكن الافحام في الآراء الظنية إلاّ باستخدام البلاغة وعلم الكلام.

من الواضح أن هناك علاقة بين فرض الأفكار وبين الجدل، والعلاقة بينهم أن الجدل يكون بسبب الرغبة الدفينة عند الشخص لفرض أفكاره على الآخرين. يجب التنبيه هنا أن الأحكام الشرعية الرئيسية ذات الألة الصريحة والثابتة والمتعلقة بالفروض والمنكر لا تعتبر فرضاً للأفكار وذلك لصراحتها وثبوتها عن ا تعالى. إنما الحديث هنا عن الأحكام الشرعية ذات الأدلة الظنية أو الأفكار الفلسفية.

من المناسب الالمام بدوافع الجدل وأسباب اشتعاله. هناك دافعين للجدل: فرض الفكر، والدفاع عن الفكر. بمعنى أنه عندما يتناقش زيد مع جرير وبدأ جرير بفرض فكرته على زيد كأن يقول: إن من يفعل هذا الشيء فهو آثم، أو أن يقول أن من الغباء الاقتناع بهذه الفكرة، فإن عزة النفس تدفع زيداً وبشكل لا-إرادي للتوتر والدفاع عن آرائه، وحيث أن السكوت قد يتم النظر إليه أنه هزيمة فالنتيجة في النهاية هي جدال في جدال وتكون الغلبة هنا للذي يفوق الآخر في البلاغة وصناعة الكلام.

إن التاريخ يثبت أن الانسان يبدي مقاومة عنيفة جداً عندما يحاول الآخرون فرض أفكارهم عليه، ويبدي نفس الانسان مقاومة أقل عندما يحاول الآخرون أن يفرضوا أنظمتهم. بمعنى آخر أن فرض الأنظمة على الناس أسهل بكثير من فرض الأفكار عليهم. وهذه النقطة التي وضعها الاسلام للمسلمين عند غزوهم، وهي أن لا يفرضوا الاسلام على الآخرين، وكان هذا أحد الأسباب التي سهلت دخول المسلمين لأطراف الأرض. وهذه النقطة قد انتبه لها الانجليز، فلم يتدخلوا أبداً في موضوع الديانة أو اللغة أو التراث في مستعمراتهم، وإنما كانت لعبتهم بالأنظمة. فلم يحاولوا أبداً إلغاء المساجد في مستعمراتهم ولم يحاولوا أبداً منع الصلاة، ولكنهم كانوا يسمحون بالمساجد والصلاة ويضعون في الجهة الأخرى من المدينة الخمارات، ويشجعون الناس بسياساتهم الابتعاد عن العبادات. ولكن لم يحدث أن وقعت هناك مواجهة متعلقة بفرض الفكر أو منع الفكر، على النقيض تماماً من الفرنسيين. ومن يقرأ التاريخ يجد أن الفرنسيين قد خرجوا من مستعمراتهم بالرصاص، وأن الانجليز خرجوا من مستعمراتهم بهدوء بعد أن تركوا لهم فيها رجال من طينة البلد.

النقطة المهمة هنا أن الانسان، لغريزة في نفسه، لا يمكنه الوقوف جامداً أمام من يفرض عليه فكراً. والمقصود هنا بفرض الفكر هو الانتقاد والتشنيع لمن يحمل أو لا يحمل هذا الفكر. فكلام جرير أن من الغباء الاقتناع بهذه الفكرة، فإن النتيجة هي أن جرير، وبشكل غير مباشر، وربما غير مقصود، يتهم زيداً بالغباء. وهنا تأتي عزة النفس ويأتي الدفاع عن الفكر.

دوافع فرض الفكر ثلاثة: أولها أن يكون الشخص ذاتي النظرة، وهي عندما يظن جرير (وبشكل غير واعي) أنه مركز العالم. وعليه فعندما يقتنع جرير بأمر فإن هذا الأمر بالنسبة لجرير ليس متعلقاً بجرير وحده وإنما بالعالم. بمعنى آخر، أن ما يقتنع به جرير (وبشكل غير واعي) إنما هي قناعات العالم. وعليه فعندما يرى جرير شخصاً لا يحمل نفس القناعات فإن التوتر يبدأ عند جرير ويبدأ التحفز لإقناع الآخر.

وثاني الدوافع لفرض الفكر هو المصلحة، وذلك عندما يريد الشخص دفع الآخرين لمصلحة له أو لمصلحة لهم. فبدلاً من أن يسألهم المسير في ذلك الاتجاه، فإنه يقوم بمحاولة إقناعهم أن المسير في هذا الاتجاه هو الحق والواجب وهو العمل الذكي وغيره هو العمل الغبي. فيكون فرض الفكر هنا ليس بالضرورة لقناعة بها وإنما لجلب مصلحة أو دفع مضرة.

وثالث الدوافع هو أن يقوم الشخص بالجدل لهواً وتسلية، إذ تشبه ساحة الجدال بساحات المبارزة. ولهذا فالجدال عند بعض الناس رياضة عقلية تدفعها المتعة.

الطريقة الممكنة للسيطرة على الجدل هي استخدام العبارات والألفاظ التي تبعد شبهة فرض الأفكار. هذه الألفاظ والعبارات هي التي يمكن أن يتم بواسطتها شرح ومناقشة الأفكار وإظهار الاختلاف والتعارض بعيداً عن شبهة فرض الفكر.

وتتحدد هذه الألفاظ والعبارات بالأعمدة الثلاثة التالية: المسئولية، والاحتمالات، وتحري الصدق.

المسئولية:

وهو أن تحدد المسئولية في الحديث. فقولك أن حكم الاسلام في كذا هو كذا، فإن هذا يعطي شبهة فرض الرأي، ولهذا فقد تحث هذه العبارة الجدل، حيث أنها قد توحي أن من يخالف هذا الحكم فهو خارج عن الاسلام. والأولى أن تحدد المسئولية بهذه العبارة فتقول: فهمي عن حكم الاسلام في كذا هو كذا. أو ضمن وجهة نظر فلان فإن حكم الاسلام في كذا هو كذا.

إن تحديد المسئولية في الحديث قد تطيل العبارة كلمة أو كلمتين ولكنها قد تبعد الجدل أميال كثيرة.

الاحتمالات:

إن الربط الفلسفي في أغلب الأحيان هو ربط ظني، كما أن التعبير عن الأحداث قد لا يكون مطابقاً تماماً (راجع المنهج الفلسفي)، وعليه فإن استنتاجات المنهج الفلسفي يغلب علها غلبة الظن، والأفضل أن تظهر هذه الغلبة في العبارة، فقولك:

الخشب يحترق إذا تعرض للشرار، وهذا اللوح من خشب، فإذاً اللوح يحترق إذا تعرض للشرار. هي تعبير لا تظهر فيه غلبة الظن، وقد يكون هذا اللوح معالج بطريقة تجعله مقاوم للاحتراق. الأفضل أن تقول:

الخشب يحترق إذا تعرض للشرار، وهذا اللوح من خشب، فأغلب الظن أن اللوح يحترق إذا تعرض للشرار.

تحري الصدق:

إن قولك: جميع الناس يقولون في هذا أنه كذا. هذه العبارة تفتقر الى الصدق، فهل حقاً جميع الناس قالوا كذا، وهل استطعت أن تتأكد من جميع الناس قبل أن تستشهد منهم. إن هذا الاسلوب هو أكثر الأساليب مدعاة للجدل والصراع، وذلك لأنه عندما لا يستطيع الشخص أن يقدم الدليل فإنه يقوم بتقوية موقفه بقوله أن كل الناس يشهدون معه. والأولى والأصدق والأدق أن يكون هناك تحري للدقة خصوصاً عندما يكون الأمر متعلق بالنقاش وليس متعلقاً بالدردشة.

مثال آخر: العلماء قالوا عن هذا الحكم أنه كذا. هل حقاً قال كل العلماء هذا، هل استطعت أن تسأل جميع العلماء الحاضرين وتتأكد من العلماء الأسبقين أنهم كلهم قالوا كذا.

إن الأعمدة الثلاثة: المسئولية والاحتمالات وتحري الصدق لن تمنع الجدل ولكنها ستخفف منه الى حد كبير.

٣) المنهج العلمي في البحث والتحليل:

المنهج العلمي قد تم وضعه بجهود متضافرة من جاليليو (Galileo Galilei) وديكارت (Rene Descartes) في أوائل القرن السابع عشر. وكان الهدف من هذا المنهج هو إيجاد طريقة تسمح بالتحقق من الفرضية بعيداً عن البلاغة وصناعة الكلام وزخرف الألفاظ وبعيداً عن العاطفة والتوهم والخيال. فكان المنهج العلمي في حقيقته منهج فلسفي زائداً إختبار.

والاختبار هنا هو أي اختبار موضوعي ذو مقاييس واضحة تسمح بالتحقق من الفرضية المطروحة بعيداً عن البلاغة وصناعة الكلام والعاطفة.

خطوات المنهج العلمي:

١) الملاحظة والاحاطة.
٢) وضع الفرضية.
٣) الاختبار.
٤) التقييم.

الاحاطة هنا هي بالضبط كما تم ذكره في الموضوع السابق وإنما لأهداف إضافية. فالاحاطة هي معرفة آراء السابقين في الموضوع المطروح. والاحاطة هنا هي دليل العلم في هذا الموضوع المطروح، فقد يكون الشخص عالماً مشهوراً ولكنه في هذا الموضوع جاهل، وقد يكون الشخص مغموراً ولكن في هذا الموضوع عليم. وبالتالي فإن الاحاطة تُخرج البحث من الإطار الشخصي للباحث، وتصبح هي ذاتها دليل علم الشخص في الموضوع المطروح. النقطة الاضافية أن الاحاطة ستضمن أن الشخص سيبدأ من حيث انتهى الآخرون، لأنه إن لم يفعل هذا فربما يكرر ما سبقه به الآخرون.

يجب التنبيه أن الاحاطة ليست خطوة في التعريف العام للمنهج العلمي*, ولكن الاحاطة خطوة رئيسية وأساسية في الأعراف العلمية. فلا يمكن قبول أي دراسة علمية أو ورقة أكاديمية في جامعة أو مجلة علمية إن لم يكن فيها فصل عن الأدب السابق (literature review). ولأهمية الاحاطة ولأساسيتها في الأعراف العلمية فقد فضل المؤلف وضعها هنا كخطوة أساسية في المنهج العلمي.

---

* تعريف المنهج العلمي هو:

Scientific Method: "The principles and empirical processes of discovery and demonstration considered characteristic of or necessary for scientific investigation, generally involving the observation of phenomena, the formulation of a hypothesis concerning the phenomena, experimentation to demonstrate the truth or falseness of the hypothesis, and a conclusion that validate or modifies the hypothesis". (Ref: www.dictionary.com and others).

كما تم ذكره فإن الهدف من المنهج العلمي هو إضفاء الموضوعية في الأبحاث العلمية. يجب الانتباه أن المنهج العلمي لا يضمن الموضوعية وإنما سيزيد نسبة الموضوعية في الأبحاث العلمية بشكل كبير. إن هذا شبيه بوجود الشرطة في المدينة، فوجودهم لا يضمن عدم حدوث الجريمة، وإنما وجودهم يزيد نسبة الشعور بالأمان وينقص نسبة الجرائم بشكل كبير. وكذلك المنهج العلمي فهو يزيد نسبة الموضوعية في الأبحاث.

هناك ثلاثة أنواع رئيسية في الاختبارات: تجارب مخبرية، اختبارات احصائية، والتنبأ الكامل.

التنبأ الكامل هو عمل الفرضية ثم ملاحظة جميع الأحداث السابقة والحالية والتالية، والنظر إذا كانت هذه الأحداث تتطابق مع الفرضية. فإذا كانت تنطبق بشكل كامل فهذا دلالة على صحة الفرضية، أما إذا لم تنطبق بشكل كامل فهذا دلالة على أن الفرضية ليست دقيقة ولا كاملة.

علوم الفيزياء والكيمياء تقع في النوع الأول، والعلوم الادارية والسلوكية تقع في النوع الثاني، وعلم الفلك والتحليل السياسي يقع في النوع الثالث.

أمثلة على النوع الثاني:

عندما يكون هناك بضاعتين وتريد الشركة إختيار أحدهما للتسويق. فما هو الأسلوب الأنجح في عملية اختيار البضاعة الأفضل للتسويق؟

يمكنك استخدام المنهج الفلسفي للوصول الى استنتاج أن البضاعة الأولى أفضل من الثانية. ولكن إذا كان الأمر يتعلق بالكثير من الأموال التي ستصرفها في حملات التسويق فهل يكفي هذا الاستنتاج؟
الأنجح هو عمل اختبار، ويكون بتسويق البضاعتين في عينة موضوعية تمثل السوق.

يجب الانتباه أن هذا النوع من الاختبارات يعتمد على علم الاحتمالات، ولذا فالنتيجة ليست قطعية، ولكن كما تم شرحه سابقاً فإن الاختبارات تزيد الثقة في الفرضية كما تزيد من نسبة الصحة في الاختبارات التسويقية.

مثال آخر: إذا قامت جامعة بدراسة مستفيضة عن أسلوب جديد في التعليم تقول عنه أنه ثوري في قدراته، ثم قامت بعرض هذه الدراسة على وزارة التعليم. الآن، هل تقوم الوزارة فوراً بتغيير مناهجها وأساليبها المعتمدة الى الأسلوب الجديد، أم عليها أن تتحقق من الأسلوب الجديد باختبار؟
إن التغيير ليس بالشيء السهل، وإذا كان لا بد من التغيير فعلى الأقل أن يكون على ثقة بدلاً من منطقية الدراسة.

هناك نقطة يجب التنبيه لها: المنهج العلمي هو مصطلح جديد له تعريف واضح. أما العلم فهو مصطلح قديم وهو المعرفة التي يمتلكها الانسان عن نفسه وعن المحيط حوله. وعليه فيمكن أن يكون هناك علوم لا تعتمد

على المنهج العلمي. مثال ذلك الرياضيات فهو علم ولكنه مبني على المنهج الفلسفي، والكيمياء وهو علم مبني بشكل رئيسي على المنهج العلمي، والعلوم الادارية والسلوكية وهي علوم مبنية على المنهجين معاً.

إن هناك علاقة متضافرة بين البحث الفلسفي والبحث العلمي، فالبحث الفلسفي يبدأ بوضع الخطوط العريضة ويبدأ بوضع الفرضيات عن الأحداث وعن علاقة الأحداث بمحيطها، فيقوم البحث العلمي بالتحقق من هذه الفرضيات لتكوين النظريات العلمية، هذه النظريات يعتمد عليها البحث الفلسفي لوضع فرضيات أخرى جديدة، وهكذا.

وكما كان للفلسفة عدو وهو الجدل فإن للمنهج العلمي عدو وهو المادية.

والمادية تعني رفض أية فكرة لا تكون محسوسة أو لا تكون مبنية على البحث العلمي. وخطورتها أنها تقوم برفض المنهج الفلسفي، والمنهج الفلسفي له ضرورة حقيقية وهي أنها تقوم بخلق الكثير من النماذج المفيدة.
وكذلك فإن الفكرة الفلسفية هي نقطة الانطلاق للبحث العلمي. وإلغاء هذه الدائرة هو تجميد حقيقي للبحث العلمي والتطور.

إن هناك الكثير من الفلسفات، ويخرج منها القليل من النماذج المفيدة، ويخرج من هذه النماذج القليل من الحقائق والنظريات العلمية. ولهذا فإن حجم النظريات العلمية أقل من الفلسفات المفيدة، والتي هي أقل بكثير من الفلسفات بشكل عام.

وقد يقول البعض أن الجهد في الكثير من الفلسفات هو عبث ومضيعة للوقت حيث أن حجم النماذج الذي يخرج منها أقل بكثير من حجم الفلسفات نفسها. وهذا غير صحيح، إن الذي يبحث عن الذهب يقوم بإلتقاط القبضة من الحجارة ثم يقوم بفلترتها حتى يصل الى دقيقات الذهب. وهذا هو البحث الفلسفي والعلمي: فأنت كي تصل الى دقيقات النماذج المفيدة والنظريات العلمية عليك بالاستخراج والتمحيص للكثير من الفلسفات.

وهذا هو تاريخ البحث الفلسفي والبحث العلمي، والقاعدة الأولى في هذا التاريخ واضحة: **يجب أن تخطو الى الخطأ كي تصل الى الصحيح.**

فجميع الأبحاث العلمية قد بدأت بنماذج مفيدة لذلك الوقت ولكنها كانت خاطئة، ثم انتبه لها أخرون وصححوا بعض الخطأ، ثم انتبه آخرون وصححوا بعض الخطأ، وهكذا حتى نصل الى الصحيح. وما كان يمكن الوصول الى هذا الصحيح لولا الدفعة الأولى من الخطأ الأول.

القاعدة الثانية في هذا التاريخ: أنه لا يهم أبداً من أين تبدأ البحث، ولا يهم أبداً إذا بدأت من النقطة الخاطئة ما دمت تملك الرغبة في المعرفة والمنهج الصحيح في البحث. إذ أن الرغبة في المعرفة والمنهج الصحيح في البحث سيدفعانك لاستدراك الأخطاء لاحقاً.

دوائر التعلم الأساسية:

ضمن ما سبق فإنه من الممكن الانتباه الى ثلاث دوائر رئيسية متضافرة ومتكاملة للتعلم والتطور:

الدائرة الأولى هي الذكاء البديهي وهو الانتباه الى النمط السائد في مجموعة من الأحداث واستنتاج البديهة منها. وميزة هذه الدائرة هي في القدرة على التصرف السريع عند الحاجة.

الدائرة الثانية هي المنهج الفلسفي، وهي تقوم باستدراك الأخطاء في البديهيات وتصحيحها وتكوين بديهيات أخرى. كما تقوم بربط الأفكار معاً لعمل نماذج مفيدة وأفكار ابتدائية تكون مركزانطلاق للبحث العلمي. أي أن الدائرة الثانية تقوم بتقوية الذكاء البديهي وتكون مركز انطلاق للمنهج العلمي.

الدائرة الثالثة وهي المنهج العلمي، وهي تقوم باستدراك الأخطاء في الأفكار الفلسفية ووضع الحقائق والنظريات العلمية التي تكون قواعد ومركز انطلاق للمنهج الفلسفي.

ويمكن تشبيه هذه الدوائر بثلاث خطوط متوازية ومتضافرة للتعلم المتسارع:

الخط الأول وهو الذكاء البديهي والذي يسمح بسرعة التصرف.
الخط الثاني والذي يتدارك أخطاء الذكاء البديهي ويقوم بوضع النماذج المفيدة.
الخط الثالث والذي يتدارك أخطاء المنهج الفلسفي ويقوم بمحاولة الكشف عن الحقائق المجردة.

وكما كان للمنهج الفلسفي عدو وهو الجدل، وكما كان للمنهج العلمي عدو وهو المادية، فإن للتعلم عدو حقيقي وخطير وهو التصديق الأعمى.

إن الحقائق والنظريات العلمية هي أفضل ما استطاع الانسان الحصول عليه بموضوعية بعيداً عن العواطف والبلاغة وصناعة الزخرف من الكلام. وهذا ما سيرثه الجيل التالي. وطبعاً سيقوم الجيل التالي باستدراك الأخطاء فيما كنا نراه حقائق ونظريات ثم سيضيفون إليه ثم سيورثوه الى الجيل التالي وهكذا. المشكلة الكبرى عندما تختلط الحقائق مع الفلسفات. وإذا حدث هذا عند رجل أو شعب فإن بذرة التوهم ستنزرع في قلب الحقائق، وستنمو من غير أن ينتبه لها أحد، وسيصل الرجل أو الشعب الى المرحلة والتي ستتحول فيها الفلسفات المفيدة (ولكنها غير الصحيحة) في الذهن الى حقائق. إن هذا الرجل وهذا الشعب سيكون كسفينة خرجت الى عمق المحيط بلا بوصلة ولا مهارة في قراءة النجوم. إن البوصلة في المنهج العلمي هي الحقائق والنظريات العلمية التي تم بحثها بشكل موضوعي، ويجب عدم خلط هذه الحقائق مع الفلسفات.

كما سيتم بحثه في الموضوع التالي (المنهج الديناميكي)، فإنه ما من نظام مفيد للانسان وإلا به بذور الانهيار. فالفلسفة مفيدة جداً وبذور انهيارها هي الجدل. والمنهج العلمي مفيد جداً وبذور انهياره هو المادية، والتعلم

يحتاج الى اشتراك الفلسفة والمنهج العلمي معاً، وبذور الانهيار للتعلم هو التصديق الأعمي، وهو خلط الفلسفة والمنهج العلمي في التصديق.

والطريقة الوحيدة لمنع بذور الانهيار من النمو هو الاحاطة بهذه البذور بنظام واضح. وهذا يتطلب مهارة التفكير ذو الخطوط المتوازية (التفكير المتوازي).
والاقتراح هو أن تعمل في عقلك أربعة أرشيفات. أرشيف يتعلق بالحقائق والنظريات العلمية، وأرشيف يتعلق بالفلسفات بشكل عام، وأرشيف يتعلق بالفلسفات التي ظهرت فائدتها (وإن كانت غير صحيحة)، وأرشيف يتعلق بالظواهر التي ليس لها تفسير علمي. وبالطبع فإن كل أرشيف يؤثر في انتباه الآخر، ولكن يجب أن تكون حازماً في عدم خلط هذه الأرشيفات ببعضها. هذه هي الطريقة الوحيدة ضمن وجهة نظر المؤلف والتي يمكن فيها التطور والتعلم بقفزات طويلة دون تجرع سموم الجدل والمادية والتصديق الأعمى.

وهنا نأتي لموضوع آخر في غاية الأهمية وهو العرب والبحث العلمي:

المعلومات التي بدأ منها الغرب في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر كانت متوفرة ومنذ قرون في الشرق الأوسط. ولكن تسارع العلوم في أوروبا كان أعلى بكثير من تسارع العلوم في الشرق الأوسط. لماذا؟
كانت إحدى الأجوبة تتعلق بأن الغرب قد توصل وبسرعة الى المنهج العلمي والذي استطاع فصل البحث العلمي عن صناعة زخارف الكلام، ولكن يبدو أن هذا السبب، مع أهميته الكبيرة، ليس هو السبب الرئيسي.

ما لاحظه المؤلف أن أوروبا والإغريق كان لهم شغف حقيقي لمعرفة أسرار الكون والطبيعة. هذا الشغف لم يكن متعلقاً بأفراد وإنما كان متعلقاً بالمجتمع والدولة. أما باقي الشعوب كالمسلمين والرومان والهنود فكان تركيزهم هو في حل المشاكل الموجودة في عصرهم. بالطبع فقد كان هناك شغف لعلماء مسلمين كثيرين لمعرفة أسرار الكون كالحسن بن الهيثم، ولكن هذه الرغبة كانت خاصة لذلك العالم ولم تكن هذه الرغبة عامة في المجتمع أو الدولة، ولم تقم مؤسسات المجتمع بتمويل هذا النوع من الأبحاث. ولهذا السبب ففي موضوع أسرار الكون والطبيعة فلم هناك تواصل في البحث حيث انتهى الآخرون، ولهذا لم يقم أحد بالاستمرار بأبحاث الحسن بن الهيثم، كما لم يقم أحد بالاستمرار بأبحاث عباس بن فرناس.

الوضع كان مختلفاً عند الإغريق وعند أوروبا في العصور الوسطى، فقد كانت هناك شغف حقيقي لمعرفة أسرار الكون والطبيعة، وقد كانت الدولة ومؤسسات المجتمع والأغنياء يقومون بتمويل هذه الأبحاث، وكان هناك ميول واضحة للتواصل والاستمرار حيث انتهى الآخرون، وكان هذا السبب في سرعة تقدم أوروبا في الرياضيات والفلك والفيزياء.

لا يدري المؤلف بالضبط السر وراء هذا الشغف للإغريق والأوروبيين لمعرفة أسرار الكون، ولكنه يعلم أن هذا هو السر الحقيقي لتسارع علومهم. إن العلم هدف بذاته، وأما الفائدة فتأتي لاحقاً، عاجلاً أو آجلاً. ويقال أن ماكسويل قد سئل عن الفائدة التي يمكن أن يجنيها الانسان من معادلاته الأربعة الشهيرة في الموجات، فأجابه أنك لا تدري ما الفائدة التي ستجنيها من طفل صغير. إن جميع الأجهزة المتعلقة بالموجات الكهرومغناطيسية إنما تعتمد على هذه المعادلات.

إن للبحث العلمي ثلاثة إتجاهات متضافرة ومتكاملة:أولها هو معرفة أسرار الكون والطبيعة، وثانيها هو حل المشاكل التي يواجهها الانسان،وثالثها هو إيجاد تطبيقات مفيدة للفلسفات والنظريات العلمية. فالعلوم المتعلقة بالفلك ما زالت ضمن اتجاه معرفة أسرار الكون والطبيعة. أما تكنولوجيا المعلومات فهي ضمن حل مشاكل الانسان، أما العلوم الادارية والسلوكية فمعظمها جاء كتطبيقات لأفكار فلسفية ونظريات علمية. وقد اهتم العرب بالاتجاه الثاني وبعضاً من الاتجاه الثالث وأهملوا، كدولة ومؤسسات، الاتجاه الأول. ولكن الاتجاه الأول هو الضمان لاستمرارية باقي الاتجاهات، وهذه هي النقطة هنا: العلم غاية بحد ذاته والفائدة تأتي لاحقاً، عاجلاً أو آجلاً.

هناك ثلاثة مواضيع أخرى متعلقة بهذا الفصل وهي استخدام المنهج العلمي لإثبات وجود ا والرسالة المحمدية، والغيبيات القرآنية والنظريات العلمية، ومنهج التحليل السياسي. ومع أهمية هذه المواضيع إلا أن المؤلف فضل وضعها في ملحق تابع للكتاب حتي يتم المحافظة، قدر الامكان، على تسلسل الأفكار في الكتاب.

الموضوع الأول يقارن بين البرهان الفلسفي والاثبات العلمي في إثبات وجود ا والرسالة المحمدية. أما الموضوع الثاني فهو يناقش ما يمكن أن يظهر أنه تعارض بين النظريات العلمية والغيبيات القرآنية. أما الموضوع الثالث فهو يناقش قواعد التحليل التحليل السياسي.

٤) المنهج الديناميكي في البحث والتحليل:

المنهج الديناميكي هو ترجمة غير حرفية لـ (System Thinking) وهو جزء من العلوم الادراية المتعلقة بنظرية الأنظمة (System Theory). وهو علم في غاية الأهمية في الأدبيات الادارية عند الغرب.

أول ما بدأت هذه النظرية بالظهور كان في علم الفيزياء في موضوع ديناميكية الحرارة (Thermodynamics) في القرن التاسع عشر. فنظرية الأنظمة جاءت لتشرح انتشار الحرارة في السوائل وللعلاقة بين الحرارة والضغط والحجم. غير أن العلماء بتخصصاتهم قد انتبهوا أن نظرية الأنظمة لا تتعلق فقط بعلم الحرارة وإنما يمكن تطبيقها على أي شيء يمكن وصفه بأنه نظام، بما فيها المؤسسات والمجتمعات والدول والأمم. وإذا كنت ممن درس الهندسة الميكانيكية أو الكهربائية فستلاحظ أن أنظمة التحكم التي درستها تشبه كثيراً نظرية الأنظمة في العلوم الإدارية.

سنبدأ بشرح الأنظمة بشكل عام ثم الدخول الى نظرية الأنظمة في العلوم الادارية.

النظام (System) هو أي شيء مادي (كالمكنسة الكهربائية) أو معنوي (كمجلس الادارة) والتي لها حدود واضحة وتتفاعل مع محيطها (تعريف مختصر).

فالمكنسة الكهربائية هو شيء له حدود واضحة وكذلك فإن هذه المكنسة تستخدم للتنظيف، وهي بهذا تتفاعل مع محيطها. ومجلس الادارة هو شيء له حدود ويقوم باتخاذ القرارات الرئيسية للشركة، وبالتالي فهو يتفاعل مع المحيط حوله.

وهناك نوعان من الأنظمة: الأنظمة الخطية والأنظمة الديناميكية (ترجمة غير حرفية لـ Nonlinear System).

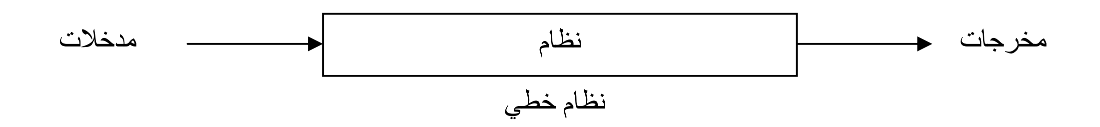
الأنظمة الخطية هي الأنظمة التي لا يوجد فيها تحكم داخلي لتنظيم المدخلات بالنسبة للمخرجات. مثال على ذلك هو خط الانتاج في المصنع. فإذا كان المصنع يقوم بتحويل صفائح الحديد الى براميل، ولم يكن هناك أية أنظمة تتحقق من جودة هذه البراميل، فإن الذي يحدث هو أن خط الانتاج سيستمر في التصنيع بغض النظر إذا كان إنتاجه صحيح أم عبث.

الأنظمة الديناميكية هي الأنظمة التي يوجد فيها نظام تحكم داخلي يسمح بتنظيم المدخلات بالنسبة للمخرجات. مثال ذلك هو نفس خط الانتاج. فإذا كان هناك أشخاص في نهاية كل مرحلة من مراحل الانتاج يتحققون من الجودة، وحدث هناك خطأ في جودة الانتاج فإنهم يقومون بوقف خط الانتاج والتحقق من سبب الخطأ وبعدها يعاد فتح خط الانتاج من جديد.

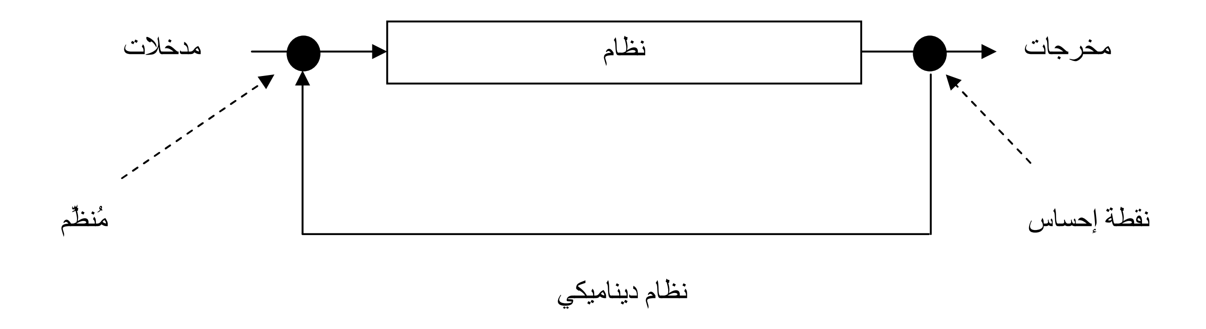
المؤسسات والمجتمعات وكل ما يتعلق بالانسان يقع ضمن الأنظمة الديناميكية.

بالطبع فإن الأنظمة الخطية أسرع بكثير من الأنظمة الديناميكية، ولكن الأنظمة الديناميكية أكثر أماناً من الأنظمة الخطية. والذكاء أن تجد نظاماً هجيناً بين الاثنين يسمح بأخذ فوائد النظامين دون سيئاتهما. وهذا هو أحد التحديات التي تواجه العلوم الادارية المتعلقة بإدارة الموارد البشرية والجودة الكاملة.

الشكلان التاليان يبينان الفرق بين الأنظمة الخطية والأنظمة الديناميكية.



نظام خطي



نظام ديناميكي

تحتوى الأنظمة على الظواهر والقوانين التالية: حالة الاتزان، حالة الاستقرار، التأرجح، قانون التأخير، قانون التغيير، دائرة التعاظم، دائرة الانهيار، قوانين التعاظم، حالة التوازن الديناميكي، قانون التشابك، نقاط الحث، والقفز فوق عتبات التوازن.

حالة الاتزان:

وهي الحالة التي تكون القوى المؤثرة على النظام متوازنة. أفضل مثال على ذلك هو الشكل التالي:

ضع كوباً مقلوباً وضع فوقه كرة صغيرة.
إن سكون الكرة هو دليل اتزانها. مثال آخر: رجل يكون في وظيفة مستقرة،
ولا تتغير حياته مع تغير الأيام، فإنه يكون في حالة اتزان.

حالة الاستقرار:

وهي قدرة النظام على الرجوع الى حالة الاتزان إذا جاءت قوة وأثرت عليه.
في المثال السابق فإن النظام ليس في حالة استقرار حيث أن أي قوة مؤثرة ستدفع الكرة خارج النظام. ولكن في المثال التالي فإن النظام هو في حالة استقرار، حيث أن أي قوة مؤثرة (معقولة) قد تخرج الكرة من حالة الاتزان ولكن النظام قادر على إعادة الاتزان لها لاحقاً. وبالطبع إذا كانت القوة أكبر من تماسك النظام فإن هذا النظام سيفقد حالة الاستقرار وينهار. أي إذا كانت القوة المؤثرة أكبر من اللازم في هذا المثال فإن الكرة ستخرج تماماً من الكوب.

مثال آخر، فإذا جاء مدير الشركة يوماً ما وبدأ بالصياح والشتيمة لموظفيه. فإذا كانت الشركة قوية، وكان للموظفين الحاجة أو الرغبة فيها، فإن الأمر قد يؤدي الى اضطراب في الشركة ولكن لا يكون الأمر خطيراً، أما إذا كانت الشركة ضعيفة وكان رغبة الموظفين للعمل في الشركة ضعيف، فإن تصرف المدير قد يخرج الشركة تماما من حالة الاستقرار.

التأرجح:

التأرجح هو ظاهرة تحدث للنظام نتيجة لقوى التغيير وقوى الاستقرار. فإذا جاءت قوة وأثرت في النظام فإن التأرجح هو نتيجة لتفاعل هذه القوة المؤثرة مع قوة النظام.

مثال ذلك البندول، فأنت عندما تضرب كرة البندول فإن البندول سيتأرجح حتى يصل في النهاية الى حالة الاستقرار.

مثال آخر، فإن قيام المؤسسة بتغيير أنظمتها، فإن الذي سيحدث في الشركة هو التأرجح بين القوى المؤيدة للنظام الجديد والقوى المعارضة له. وتكون الشركة في حالة شد وجذب حتى تصل الشركة الى حالة الاستقرار. وبالطبع فإذا كان التغيير أقوى من تماسك الشركة فإن الشركة ستتأرجح الى الانهيار.

والمثال الكلاسيكي الموجود في الأدبيات الادارية هو إذا كنت تستحم وكان صنبور المياه الساخنة بعيد عن سخان الماء. فأنت عندما تفتح الصنبور فإن الماء الساخن لا يأتي مباشرة، فتقوم بشكل لا-إرادي بزيادة الصنبور. والذي يحدث عندها أن الماء الساخن يأتي ثم بعدها بقليل يأتي ماء حار جداً، فتقوم بإنقاص الصنبور بسرعة، فيبرد الماء. ثم تقوم بالزيادة والنقصان حتى تصل الى السخونة المطلوبة. وما حدث هنا هو التأرجح بين البارد والحار حتى استقر النظام.

ودراسة التأرجح أمر مهم في إدارة التغيير، إذ أن أي تغيير يحدث للنظام سينتج عنه نوعاً من التأرجح. فإذا كان متوقعاً حدوث تأرجح كبير في النظام، فلا بد من تصميم نوع من مخدات الامتصاص للاحاطة بالتأرجح. مثال ذلك: إذا قررت الدولة فجأة إعطاء النساء حق الخلع. الذي سيحدث هو حالة تأرجح كبيرة بسبب وجود الكثير من النساء من يريد فجأة خلع أزواجهم، وفي المقابل فهناك الكثير من الرجال من سيغضب لخروج السيطرة من يده. وللاحاطة بآثار التأرجح فربما في السنة الأولى تقوم الدولة بإقرار الخلع بعد شهر واحد من طلبه، ويكون في هذا الشهر محاولات الاصلاح بين الزوجين. ما سبق هو نوع من مخدات الامتصاص لمحاولة الحد من تأثير قانون جاء بشكل مفاجئ.

قانون التأخير:

وهو أنه إذا قامت قوة بالتأثير في النظام، فإن ظهور هذا التأثير سيحتاج الى الوقت. أي أن هناك تأخير بين التأثير والنتيجة.

ففي المثال السابق، فأنت عندما تفتح صنبور المياه الساخنة، فقد قمت بالتأثير في النظام، ولكنك لم تشعر بنتيجة التأثير إلا بعد وقت.

طبعاً هذا القانون واضح وبديهي ولا يمكن أن يتجادل عليه أحد، ولكن الذي حدث أن كثير من الناس من ينسى هذه البديهة عندما يتعاملون مع الأنظمة، فكان أن وضع علماء الأنظمة هذا القانون.

لتأخذ المثال السابق، فإذا كان الرجل عالماً بقانون التأخير فإنه سيقوم بفتح الصنبور ثم يصبر حتى يستقرالنظام ثم يقرر ما إذا كان يريد الزيادة أو النقصان، وهكذا حتى يأتي للنتيجة التي يريدها. وفي هذه الحالة فإن التأرجح يكون في أضيق نطاق معقول.

قانون التغيير:

ويقول هذا القانون أنه إذا جاءت قوة تؤثر في النظام، فإن النظام سيحاول استطاعته لمقاومة التغيير وإرجاع النظام الى حالة إتزانه الأولى. فإذا كانت قوة التغيير أكبر من مقاومة النظام فسيستقر في حالة إتزان أخرى. أما إذا كانت قوة التغيير أكبر من تماسك النظام، فإن النظام سينهار.

مثال ذلك أنه إذا شعرت الشركة بضيق الموارد المالية فقررت تغيير نظام المكافئات في الشركة، فإن هذه الخطوة ستجابه بمقاومة من الموظفين. فإذا كانت قوة مقاومة الموظفين أكبر من قوة التغيير فإن الموظفين في النهاية سيجبرون الادارة على التراجع. أما إذا كانت قوة التغيير تماثل قوة المقاومة فإن الذي سيحدث في النهاية هو مفاوضات الادارة مع الموظفين وتكون الأمور بين شد وجذب حتى يصل الجميع الى اتفاق. أما إذا كانت قوة التغيير أقوى بكثير من قوة المقاومة فإن الموظفين سيستسلمون على مضض لرغبة الادارة. أما إذا كانت قوة التغيير أكبر من تماسك الشركة فإن الذي سيحدث هو استقالات بالجملة من الشركة مما قد يسبب انهيارها.

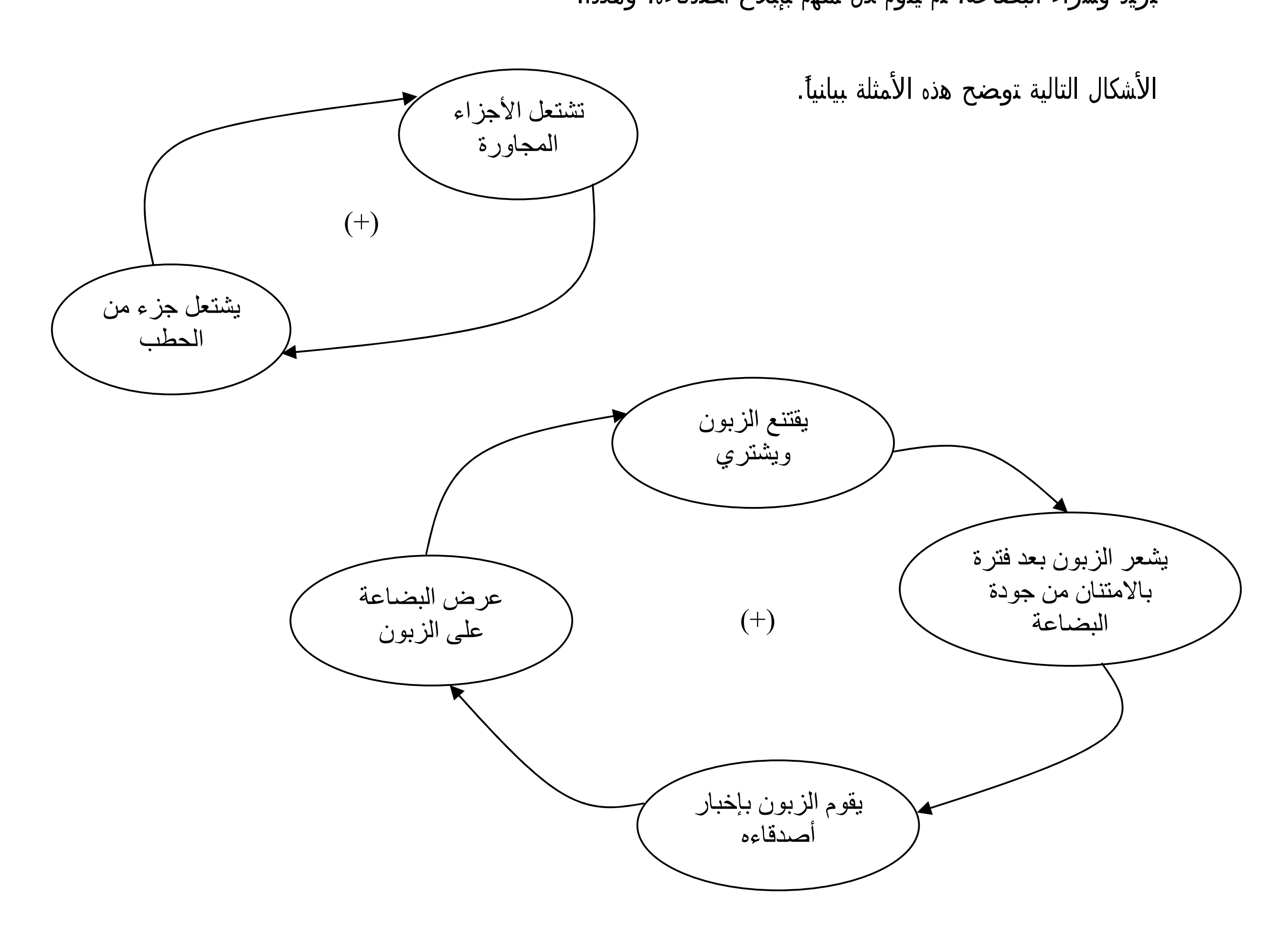
دائرة التعاظم:

دائرة التعاظم هي ظاهرة تحدث عندما تتراكم وتتسارع نجاحات النظام.

مثال ذلك عندما تضرم النار في الحطب (أو البنزين)، فعندما يشتعل أول جزء في هذا الحطب فإنه يقوم بإشعال الأجزاء المحيطة حوله، وكل جزء من هذه الأجزاء سيشعل الأجزاء الأخرى وهكذا.

مثال آخر، عندما يقوم زيد ببيع بضاعة مفيدة لجرير، فيقوم جرير بإبلاغ أصدقاءه، فيقوم الأصدقاء بالاتصال بزيد وشراء البضاعة، ثم يقوم كل منهم بإبلاغ أصدقاءه، وهكذا.

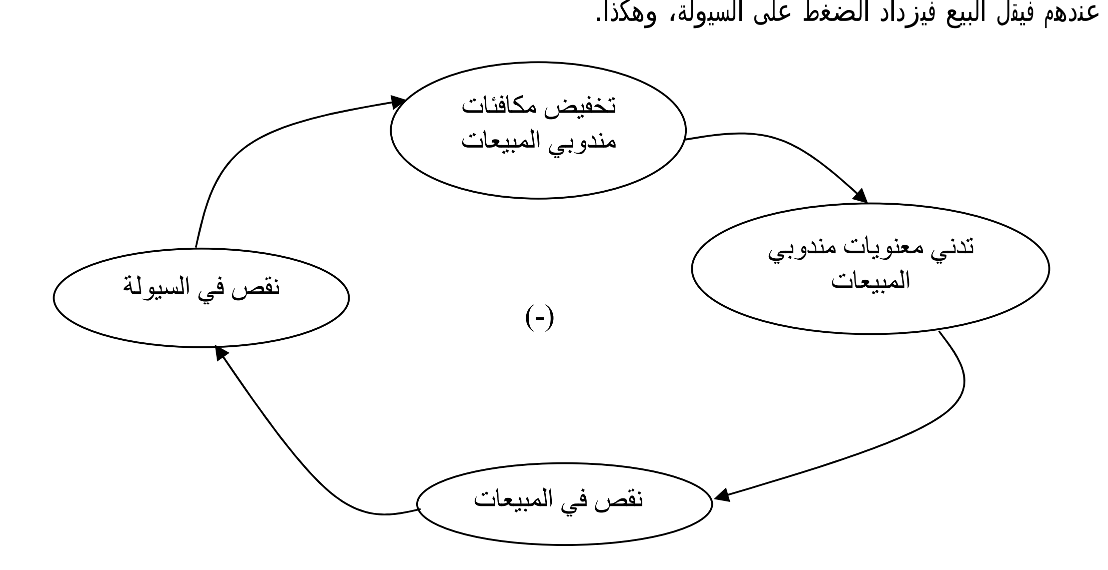
الأشكال التالية توضح هذه الأمثلة بيانياً.



دائرة الانهيار:

وهي تشبه تماماً دائرة التعاظم ولكن بالاتجاه السلبي. أي أنها ظاهرة تحدث عندما تتراكم وتتسارع مطبات وفشل النظام.

مثال ذلك هو شركة تشعر بنقص في السيولة فتقوم بتخفيض مكافئات مندوبي المبيعات فتنقص المعنويات عندهم فيقل البيع فيزداد الضغط على السيولة، وهكذا.



قانون التعاظم الأول والثاني والثالث:

قانون التعاظم الأول يقول أنه عندما تبدأ أية دائرة بالتعاظم فإنه يخلق معها في تلك اللحظة بذرة دائرة الانهيار.

قانون التعاظم الثاني يقول أن الأمر الطبيعي في الأنظمة أن تنتهي دائرة التعاظم الى الانهيار.

قانون التعاظم الثالث يقول أن الطريقة الوحيدة لتأخير عملية الانهيار هي عمل تحكم داخلي يحيط بدائرة الانهيار.

كمثال للقانون الأول والثاني ففي اللحظة التي يشتعل فيها الحطب فإن دائرة التعاظم قد بدأت ولكنه في نفس اللحظة فإن بذرة الانهيار قد خُلقت. وبذرة الانهيار هي نقصان الوقود اللازم للإحتراق. وضمن هذا النظام فإن دائرة التعاظم سوف تتسارع الى مرحلة ثم تتباطأ الى أن تصل الى القمة ثم تبدأ عملية الانهيار حتى تخمد النار.

ومثال على القانون الثالث فإن السيارة إذا دفعت فإنها تتحرك ثم تتف لمقاومة احتكاك الهواء والشارع. والطريقة التي يمكن فيها أن تسير السيارة بسرعة ثابتة هي أن تضغط على دواسة البنزين لتعطي للسيارة قوة توازن بها مقاومة الاحتكاك. وطبعاً فإن هذا يؤخر عملية التوقف، ولكن السيارة ستقف حتماً بعد فترة للتزود بالوقود.

إن قانون التعاظم الأول يشبه كثيراً القانون الأساسي في الادارة وهو أن لكل شيء منفعة ومضرة، والمهارة الادارية هي بالقدرة على أخذ كل المنفعة مع الاحاطة بكل المضرة.

حالة التوازن الديناميكي:

هي الحالة التي تتوازن فيها دائرة التعاظم مع دائرة الانهيار. وفي هذه الحالة فإن النظام لا يصعد ولا ينزل وإنما يكون في حالة جمود. وفي هذه الحالة كذلك يكون قد وصل الى النقطة الأعلى في نجاحه.
لندرس المثال السابق ذكره في دائرة التعاظم:

ولنقل أن البضاعة هي جهاز منزلى يتم تصنيعه محلياً. وأن كلفة الجهاز هي ٥٠٠ درهم، وأنه بحاجة الى عامل واحد ويومين لتصنيعه. وأن سعر بيع الجهاز هو ١٠٠٠ درهم.

إن بداية دائرة التعاظم هذه سيخلق معها بذرة الانهيار وهي:

١. يزداد الطلب في شراء البضاعة.
٢. فسيضطر في النهاية الى تأخير تسليم الجهاز، وسيضطر كذلك الى الاستعانة وبسرعة على عمال آخرين لتصنيع المنتج. وبالتالي تنقص جودة الجهاز وتنقص جودة الخدمة (تسليم الجهاز).
٣. تبدأ مشاكل الجهاز بالظهور وتبدأ شكاوي الزبائن.
٤. يقوم بعض الزبائن بإلغاء طلبات شرائهم كما يقوم البعض الآخر بإرجاع الجهاز والمطالبة بالثمن.
٥. يقوم الزبائن بتحذير أصدقاءهم مما يؤدي هذا الى نقصان طلبات الشراء.

إن تفاعل دائرة التعاظم ودائرة الانهيار ستكون كالتالي:

يقوم الزبون بتحذير أصدقاءه
يقتنع الزبون ويشتري
ينقص
تبدأ المشاكل بالظهور
(-)
عرض البضاعة على الزبون
(+)
الامتنان من جودة البضاعة
يزيد
تتأخر مدة التسليم وتتأثر الجودة
يقوم الزبون بإخبار أصدقاءه
يزيد الطلب على البضاعة

ويمكن السيطرة على دائرة الانهيار هذه، فغالب الظن أن تستطيع الادارة أن تنتبه لدائرة الانهيار وأن تبدأ بالتحكم والتنظيم لأعمالها، وفي هذه الحالة فإن الشركة تكون إما في حالة صعود حسابي (أي أن الشركة تتقدم عاماً بعد عام بنسبة حسابية وليست تعاظمية) أو تكون الشركة في حالة توازن (أي أن يكون ربح الشركة ثابت ولكن دون نمو).

ولكن ضمن قانون التأخير فإنه سيكون هناك وقت بين الانتباه لدائرة الانهيار وبين الإحاطة بدائرة الانهيار. وهذا الوقت يعتمد على الظروف وعلى مهارة الادارة.

المشكلة الكبرى هي عندما تتضافر مجموعة من دوائر الانهيار معاً وفي وقت واحد. فبالنسبة للمثال السابق فيمكن توقع دائرة انهيار أخرى في النظام. ويمكن وضع دوائر التعاظم والانهيار للمثال السابق كما يلي:

دوائر التعاظم	دوائر النهيار
الكلمة الحسنة من الزبون أدت الى مزيد من الطلب	المزيد من الطلب أدى الى نقصان في الجودة مما أدى الى نقصان في الطلب
	المزيد من الشراء أدى الى نقص في السيولة

ويغلب على ظن المؤلف أن تضافر ثلاث دوائر انهيار أو أكثر في وقت واحد في مؤسسة صغيرة كفيل بانهيارها. حسب قانون التأخير وقانون التشابك التالي ذكره.

قانون التشابك:

التشابك هنا هو حجم المدخلات التي يجب على النظام أن يتعامل معها، وحجم المخرجات المطلوبة من النظام، وحجم أنظمة التحكم الداخلية للنظام. وبالطبع فإن حجم التشابك في مؤسسة صغيرة أقل منه في مؤسسة ذات فروع عدة.

هذا القانون لاحظه مبرمجوا الكبيوتر ولكنه ينطبق لأي نظام. فقد لاحظ مبرمجوا الكمبيوتر أنه كلما زادت تشابكات النظام زيادة حسابية فإن الإدارة بحاجة لزيادة قوتها العقلية زيادة تعاظمية.

كمثال على ذلك، إذا احتاجت المؤسسة لبرنامج كمبيوتر لها، وتم تصميم البرنامج عن طريق شخصين في عشرة أيام، ثم بعد ذلك زادت تشابكات المؤسسة الى الضعف فإن تصميم برنامج الكمبيوتر اللازم للمؤسسة قد يحتاج إما الى ثمانية أشخاص في عشرة أيام أو لشخصين لينجزوه في أربعين يوماً.

هذا القانون تراه واضحاً عندما تزداد نشاطات الشركة أو يزداد فروعها. وعند هذه الحالة فإن الشركة بحاجة الى قوة عقلية متضاعفة عن ذي قبل. وقد تكون تلك القوة اللازمة هي نظام إداري مناسب، أو زيادة في عدد الموظفين، أو زيادة في المهارات الادارية، الخ.

رجوعاً الى دوائر الانهيار، فإن تضافر ثلاث دوائر انهيار أو أكثر في مؤسسة صغيرة فإن قانون التأخير وقانون التشابك قد يكونان أكبر من قدرة المؤسسة الصغيرة على الصمود فيكون الانهيار الكامل.

إن هذا الموضوع في غاية الأهمية لأنه السر في نجاح الفخاخ السياسية. فالمهارة السياسية للدولة هو في كيفية خلق دوائر التعاظم عندها مع الاحاطة بدوائر الانهيار، وكيفية خلق وحث دوائر الانهيار عند الدولة العدو.

فالخلافة العثمانية كانت في دوائر انهيار متعددة وقد استطاع السلطان عبد الحميد تأخير الانهيار ولكنه لم يستطع أن يعالج دوائر الانهيار ذاتها، ثم قام الاتحاد والترقي بالانقلاب على السلطان عبد الحميد. ولم يكن الاتحاد والترقي السبب في انهيار الدولة العثمانية إنما كان الأداة لهذا الانهيار، بمعنى لو أن السلطان عبد الحميد قد انتبه لمؤامرة الاتحاد والترقي فسوف يأتي غيرهم لتحقيق دوائر الانهيار. أما الانجليز فما فعلوه هو تسريع دوائر الانهيار كي تتحقق قبل قدرة الخلافة على الانتباه لها ومعالجتها.

ومثال آخر هو الاتحاد السوفييتي. ويقول البعض أن سبب انهيار الاتحاد هو أن جورباتشوف كان عميلاً للمخابرات الأمريكية، وهذا مستبعد تماماً فلم تكن المخابرات السوفييتية ولم يكن الجيش السوفييتي بهذا الغباء والسذاجة ليتمكن عميل من السيطرة والبقاء في الحكم. كل ما حدث أن دوائر الانهيار كانت تدور في الاتحاد السوفييتي، وعندما جاء جورباتشوف فإنه جاء بأفكار جديدة وفلسفات منطقية ولكن الطريقة التي طبق فيها هذه الأفكار قد عجلت من دوائر الانهيار وكانت أقوى وأسرع من قدرته على الصمود. وكل ما فعلته المخابرات الأمريكية هو تشتيت انتباه السوفييت وتبديد قوتهم العقلية، وخلق وحث دوائر انهيار أخرى في جسم الاتحاد.

<u>مهارة القفز فوق عتبات التوازن:</u>

ضمن قوانين التعاظم الثلاثة فإن أي نظام سينتهي الى الانهيار حتى وإن كانت هناك إدارة جيدة. فأي نظام جيد سيبدأ بالتعاظم ثم يتباطأ التعاظم بنسبة تعتمد على مهارة الادارة ولكن سيأتي الوقت الذي يصل فيه النظام الى حالة التوازن، ثم تبدأ عملية الانهيار.

والسؤال هنا هو كيف يمكن الضمان في استمرارية التعاظم. وكان الجواب في الأدبيات الادارية هو مهارة القفز. والفكرة هي أنه في اللحظة التي تتباطأ دائرة التعاظم فإنك تعد العدة لخلق دائرة تعاظم أخرى. وهكذا تبدأ الكرة مرة أخرى، وكل ما تفعله هو أنك تقفز من دائرة وصلت الى حالة التوازن الى دائرة أخرى بدأت من جديد.

كمثال على ذلك هو أنه إذا كانت كلفة صناعة الجهاز هي ٥٠٠ درهم، وبعد البحث تم التوصل الى طريقة مبتكرة وخلاقة تجعل كلفة الصناعة هي ٥٠ درهماً، فأنت في هذه الحالة قد قفزت الى دائرة تعاظم أخرى.

الطريقة الأساسية لعمل سياسة ناجحة للقفز هي في خلق إدارة متكاملة ومستقلة للبحث والتطوير. وبغير هذه الادارة فقدرة القفز تكون عشوائية وغير مستقرة.

نقاط الحث:

هي ظاهرة تم الانتباه لها بعد بحث قام به أحد علماء المناخ (Edward Lorenz)، إذ وجد أن قوانين الرياح في غاية التعقيد، وأنه من الصعب جداً الاحاطة بها، وأنه وجد أن أسباب صغيرة تحدث في منطقة قد تؤثر على حركة الرياح لمنطقة مختلفة تماماً، فكانت الكلمة المشهورة: هل يمكن لفراشة تصفق في اليابان أن تسبب إعصاراً في أمريكا.

كان هذا انتباهاً لعلماء الأنظمة فقد وجدوا أن هذه الظاهرة موجودة في كثير من الأنظمة، فهناك نقاط في النظام إذا تم حثها ولو بقوة صغيرة فإنها قد تكون سبباً لنشوء دوائر التعاظم أو الانهيار.

مثال ذلك هو الحطب، فإذا وضعت قليلاً من البنزين في أحد أطرافه فإن شعلة صغيرة كافية أن تشعل الحطب كله. وهناك مثل مشهور ينسجم مع ما سبق وهو أن الشجرة تصنع الآلاف من أعواد الكبريت، وعود كبريت واحد يحرق الآلاف من الأشجار.

وهذا أيضاً وارد في الأنظمة الانسانية، فهناك أحداث صغيرة أو قرارات إدارية تكون سبباً في حث دوائر الانهيار أو دوائر التعاظم. فمثلاً قيام جاليليو بوضع المنهج العلمي في البحث والتحليل كان أحد الأسباب الرئيسية في سرعة التطور العلمي عند الغرب. وكذلك فإن اغتيال ولي عهد النمسا هو الحدث الذي أشعل الحرب العالمية الأولى. وكان قرار القيادة السوفييتية بالوفاق مع أمريكا سبباً في حث دوائر الانهيار في الاتحاد السوفييتي.

قد يظهر بعض التعارض بين هذا الموضوع وسعة الصدر. فكما تم الحديث سابقاً، فإن سعة الصدر تتعلق بالاهتمام بالأمور الحيوية والتسامح بالأمور الفرعية. ولكن فكرة نقاط الحث تفيد أنه يمكن لأمور وأحداث فرعية أن تحث دوائر الانهيار. السؤال هنا: كيف يمكن أخذ الموضوعين بالتوازي؟ أي كيف يمكن أخذ سعة الصدر وفي الوقت نفسه عمل نظام كفيل بإحاطة دائرة الانهيار التي قد تسببها أحداث فرعية؟
الحل يكمن في برودة الأعصاب للقيادة والذكاء الجماعي للمجتمع. فبرودة أعصاب القيادة كفيل لها بالانتباه لدوائر الانهيار الحقيقية، كما أن الذكاء الجماعي للمجتمع كفيل له بالمرونة اللازمة للإحاطة بدوائر الانهيار قبل تفاقمها. وهذا يرجعنا مجدداً الى ضرورة تقوية الذكاء الجماعي في الأجهزة الادارية بشكل خاص والأمة بشكل عام.

إن ديناميكية المجتمع في غاية التعقيد ولهذا كانت الضرورة لتعلم مهارات التحليل الديناميكي، لأن هذه المهارات هي التي تستطيع تنبيهنا الى ديناميكيات المجتمع ودوائره المختلفة. أما من يتعامل مع ديناميكية المجتمع بسذاجة فهو كمن يبتعد عن المدينة ويبتعد ويبتعد ويبتعد ولا يدري أنه قد بدأ يقترب منها ولكن من الجهة الأخرى، أو كرجل لا يدرك ديناميكية البندول وضرب كرتها فيها ولاحظها تبتعد واطمأن وإذا بالكرة جاءت إليه وضربت رأسه.

وإن هناك ديناميكية هي أشد تشابكاً من ديناميكية المجتمع، وهي ديناميكية الاسلام:

قال رسول ا عليه السلام: "عليكم هديا قاصدا فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه" رواه أحمد في باقي مسند الأنصار. وقال عليه السلام: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق" رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

إن نظام الاسلام يتعلق بنظام الفرد والمجتمع والدولة وهو بهذا يجمع على الأقل ثلاث ديناميكيات. وللتشابك الشديد في ديناميكية الاسلام فإن التلاعب أو التعامل مع الاسلام بسذاجة هو أمر فيه كل الخطورة، فمن يتلاعب مع ديناميكية متشابكة أو يتعامل معها بنظرة الهاوي فهو لن يدري من أين تأتيه الضربات منها.

قد تلاحظ أن القرآن كان شديد الانتقاد للكفر، وكبائر الإثم والفواحش (كالزنا، والربا، الخ). ولكن هناك أمر آخر كان شديد الانتقاد له وهو تحريم ما أحل ا . قال ا تعالى:

"يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل ا لكم ولا تعتدوا ان ا لا يحب المعتدين" (٨٧-المائدة)

"وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم ا عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين" (١١٩-الأنعام)

"قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم ا افتراء على ا قد ضلوا وما كانوا مهتدين" (١٤٠-الأنعام)

"سيقول الذين اشركوا لو شاء ا ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون (١٤٨) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين (١٤٩) قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان ا حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون" (١٥٠-الأنعام)

"قل ارايتم ما انزل ا لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ا اذن لكم ام على ا تفترون" (٥٩-يونس)

"وقال الذين اشركوا لو شاء ا ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين" (٣٥- النحل)

"ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على ا الكذب ان الذين يفترون على ا الكذب لا يفلحون" (١١٦- النحل)

إن العزم الذاتي هو جزء ملاحظ في طبيعة الانسان. والعزم الذاتي هو رغبة الانسان بتوسعة مفاهيمه وبصورة قد تكون آلية. وهذا العزم الذاتي جيد في الفلسفات والعلوم الدنيوية ولكنه غاية في الخطورة في الأحكام الاسلامية، فمثلاً عندما حرم ا الزنا فإن العزم الذاتي لبعض الناس قد أوحى لهم أنه من الأفضل الامتناع عن النساء، كما أن فرض الصلاة وسن النوافل قد أوحى للبعض بأن الصلاة ليل نهار هو أفضل الأعمال، كما أن تحريم الذهب قد أوحى لبعض الناس أن الألماس ومادة البلاتين حرام لأنها أغلى من الذهب.

النقطة هنا أنه يجب الحذر جداً من تحريم أمر أو فرض أمر ليس له أدلة واضحة وإلا فهذا تلاعب بديناميكية الاسلام، وكأي ديناميكية متشابكة فإن ردة فعلها تكون قاسية وغير متوقعة.

وقد تكون إحدى سخريات القدر التي سيسجلها التاريخ أن تلاعب الغرب ومكرهم مع ديناميكية الاسلام هو أحد الأسباب الرئيسية لنهضة المسلمين وصعودهم. وصدق ا العظيم إذ يقول: "ومكروا ومكر ا وا خير الماكرين" (٥٤-آل عمران).

إن أكثر الغرب إدراكاً لقوة الاسلام هم الانجليز. ولكن لم يكن إدراكهم كاملاً لديناميكيته. فقد استطاع الانجليز وبمكر شديد أن يحطموا الخلافة العثمانية. ولم يدرك الانجليز أن الخلافة الراشدة الثانية لا يمكن لها أن تقوم على أساسات الملك العاض والخلافة الوراثية. وأن قيامتها لا تكون إلا بتحطيم أساسات الملك العاض تحطيماً تاماً: قال رسول ا عليه السلام: "تكون النبوة فيكم ما شاء ا أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء ا أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء ا أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء ا أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" رواه أحمد في مسند الكوفيين عن حديث حذيفة بن اليمان.

وأوهم الغرب المسلمين بأوهام القومية والوطنية حتى أوصلوهم الى عنان السماء. ولم يدرك الغرب أن من يصل الى عنان السماء بأعمدة واهية سيسقط. ولا يدرك الغرب أن المسلمين إذا سقطوا استيقظوا.

ووضع الانجليز اليهود في فلسطين حرساً لهم. ولم يدرك الانجليز أن اليهود شعب أحمق، وأن حماقتهم هي التي أيقظت المسلمين من سبات طويل.

واحتل اليهود القدس، وكان ذاك اليوم عيداً لهم. ولم يدرك أحد منهم أن هذه الصدمة كانت كافية لبعث الحياة في العالم الاسلامي. ولم يدرك أحد منهم أن المعركة الحقيقية قد بدأت ذلك اليوم.

وعندما انتبه الغرب الى بدايات وعي المسلمين انهالوا عليه بالاحباطات حتى ييأس. ولم يدرك الغرب أن اليأس إذا زاد حده في الصدور انقلب حقداً لا يعرف غفراناً ولا نسيان.

وبدأ الاستيقاظ في العالم الاسلامي بطيئاً ثم تتسارعت إليه الحياة وتتسارعت أكثر، فما من يوم مر بعد يوم النكسة إلاّ والمسلمين أفضل حال من اليوم الذي سبقه إيماناً وعبادة وعلماً ومهارة ووعياً و........ حقداً.

وتسارعت الأمور في الثمانينات وتسارعت أكثر في التسعينات وفي بداية هذا القرن أصبح الحديث علناً عن خطر المسلمين وعن ضرورة الاحاطة بهم.

لا أقول أني أعرف المستقبل، ولكني أعرف كيف أقرأ الماضي وأعرف رسم البيان لأحداثه، فإذا استمرهذا التسارع في زخمه فإن العالم مقبل على انعطافات حادة في السنوات القليلة القادمة ترفع بإذن ا المستضعفين في الأرض وتنزل بإذن ا المستكبرين فيها.

٥) المنهج الاستراتيجي في البحث والتحليل (التفكير الاستراتيجي):

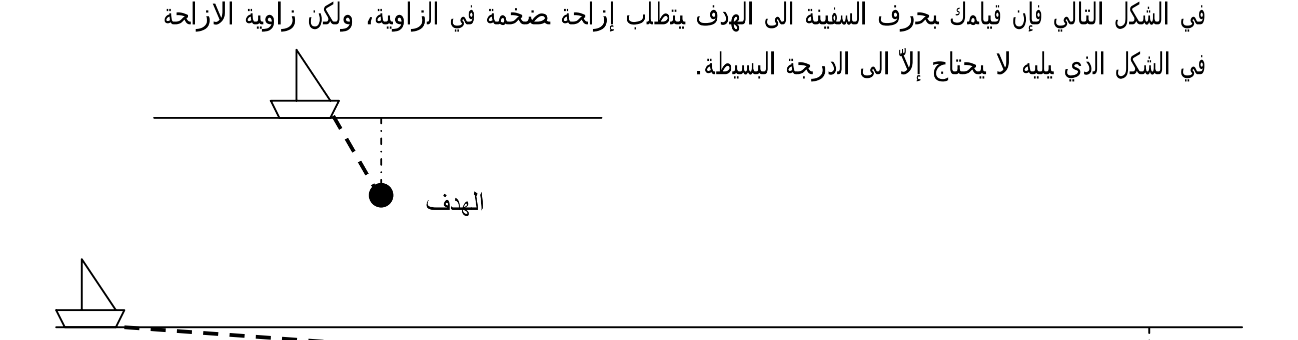
الاستراتيجية بمعناها الاداري تعني "بعيدة المدى"، فقولك: شراكة استراتيجية تعني شراكة بعيدة المدى، وقولك: خطة استراتيجية تعني خطة بعيدة المدى.

لماذا التخطيط والتنفيذ الاستراتيجي؟

الإجابة الأولى وهي أن الانجازات الضخمة لا تقوم في يوم وليلة، وإنما تحتاج الى جمع الطاقات والموارد وتحتاج أن تتم الأمور خطوة - خطوة.

الإجابة الثانية وهي تعتمد على نظرية الأنظمة السابق ذكرها:

في الشكل التالي فإن قيامك بحرف السفينة الى الهدف يتطلب إزاحة ضخمة في الزاوية، ولكن زاوية الازاحة في الشكل الذي يليه لا يحتاج إلاّ الى الدرجة البسيطة.



وهذه هي اللعبة في التخطيط الاستراتيجي، فإذا استطعت أن تحدد الهدف وبدقة على بعد مئات الأميال فيكفي أن تحرف السفينة نحو الهدف وبدرجات قليلة وبجهد بسيط، وبعدها تعتمد على العزم الذاتي للأنظمة ودوائرها للوصول الى الهدف.

التخطيط الاستراتيجي يتطلب أن تحدد الهدف الذي تريده، ثم تنظر الى الماضي البعيد والظروف الحالية لكي تستطيع أن ترى الخط الطبيعي للمستقبل، ثم تقوم بتنظيم الموارد والأنظمة المتوفرة لديك كي تستطيع حرف خط المستقبل نحو الهدف.

المهارات المطلوبة لتحقيق هذا الخطة عالية، فيجب أن يكون هناك القدرة على الارتفاع عالياً جداً كي تستطيع أن ترى خط الماضي وترسم منه الخط الطبيعي للمستقبل، كما يجب أن تنزل الى التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالموارد المتوفرة وطبيعة الأنظمة المحيطة حولك، وأن تكون هناك العقلية القادرة على الاستفادة من كل قوة الموارد والأنظمة مع الاحاطة بالأضرار المتوقعة منها وذلك للوصول الى هذا الهدف.

وربما يكون التخطيط الاستراتيجي المتعلق بالمؤسسة الصغيرة سهلاً ويمكن للمدير الاحاطة بها، أما التخطيط الاستراتيجي المتعلق بالمؤسسة الكبيرة أو الدولة فليس بهذه السهولة، ولهذا فالتخطيط الاستراتيجي للدولة هي مسئولية جهاز كامل وليست مسئولية فرد. وعلى أعضاء الجهاز أن يكونوا ذوي مهارات وطبائع مختلفة كي يستطيعون النظر والالمام بكل متطلبات الخطة.

وهنا نرجع الى الموضوع الأهم في هذا الكتاب: ضرورة رفع مستوى الذكاء الجماعي في الأجهزة الادارية بشكل خاص، والأمة بشكل عام، إذ أن الطبائع المختلفة لا يمكنها التعامل بانسجام إلاّ إذا كان الجهاز الاداري ذو ذكاء جماعي مرتفع.

ثم تأتي مرحلة التنفيذ الاستراتيجي، وهي أشد صعوبة من التخطيط، وذلك لأنها تتطلب من القيادة التحكم الكامل في أعصابها ومشاعرها، فيجب عليها الانتظار وقت الانتظار، وعليها السرعة وقت سنوح الفرصة، وعليها إزالة العقبات من وجه الخطة، وعليها أن تكون على الاستعداد لتغيير الخطة إن ثبت عدم جدواها. ولهذا السبب فإن أسوأ القادة من من يقوم بالتعديل والتغيير في الخطة نتيجة مشاعر آنية واندفاعات عاطفية.

إن برودة الأعصاب والعمل الاستراتيجي لا ينفصلان أبداً، وإذا كانت لك القيادة لهذه الأمة ولم يكن عندك برودة الأعصاب فاتركها ودعها لغيرك تفعل للأمة كل الخير.

إن النماذج التالية تعطي تلخيصاً جيداً لهذا الفصل:

المنهج الفلسفي + المنهج العلمي + الإدراك الديناميكي + الهدف + الذكاء الجماعي = الخطة الاستراتيجية.

الخطة الاستراتيجية + برودة الأعصاب + الجدية + الذكاء البديهي = التنفيذ الاستراتيجي.

كيفية نشر المهارات الادارية والذكاء الجماعي

المهارات السابق ذكرها تحتاج الى التدريب، وقد يستطيع البعض تدريب نفسه من الكتب ولكن الأعم الأغلب أن الكثير يحتاج الى تدريب عملي من شخص مختص. إن من يتعلم السباحة من الكتب سيكون له سعة إدراك عالية لهذه المهارة ولكنه لن يتقنها إلاّ إذا تدرب عليها. وكذلك المهارات السابقة، فإن الكتب قد تعطي سعة الادراك فيها، ولكنه من الضروري التدرب عليها. ولهذا السبب فمن الضروري مناقشة فلسفة التدريب.

فلسفة التدريب:

المؤسسات بعمومها لا تحب التغيير. والمقصود هنا هم العاملون في المؤسسة، بل في غالب الأحيان فإن العاملين في المؤسسة سيقاومون التغيير إما صراحة أو سياسة (أي أن المقاومة ليست صريحة ولكنها في الخفاء)، أو لا-وعياً (أي أن المقاومة غير صريحة وغير مقصودة). ولهذا السبب فيوجد موضوع دراسة مستقل في العلوم الادارية اسمه إدارة التغيير.

إن إعطاء المؤسسة مهارات جديدة هو في واقعه تغييراً في ثقافة ومهارات المؤسسة وينطبق عليها قانون التغيير، وغالب الظن أن المقاومة هنا هي لا-واعية. لنضرب المثل: إن أنت وضعت برنامجاً تدريبياً لعشرين موظفاً عن موضوع إدارة الفرق ونجاحها، فغالب الظن أن أكثر من نصف الحاضرين لم يكن مهتم بهذه الدورة وأنه قد حضرها لأجندة خاصة (لإرضاء الإدارة، أو لأخذ الشهادة، الخ)، وبعد انتهاء الدورة فربما يكون قد تأثر بها خمسة، وبعد أسبوع من الدورة فربما ما زال يتذكرها ثلاثة، وبعد شهر فإنه من التفاؤل أن نقول أن واحداً فقط لا يزال يتذكرها.

ما سبق هو أمر طبيعي وهو يقع ضمن قانون التغيير. ولهذا السبب فإن كانت المؤسسة تريد تطوير عامليها عن طريق دورة تدريبية فهي قد خسرت المال والوقت.

التغيير بشكل عام والتطوير بشكل خاص بحاجة الى خطة تكون الدورات التدريبية جزءاً منها. أي أن الدورة تخدم خطة التطوير، وليست الدورة التدريبية هي التطوير.

الخطة التدريبية هي كأي خطة إدارية بحاجة الى الدراسة والموارد والالتزام من الإدارة العليا، ولكن هناك ثلاثة أمور أساسية في خطط التطوير لا بد من الانتباه لها:

١) الدورات التدريبية:

الدورات التدريبية تقوم بشرح المهارات. وبالطبع فإن بعض الأشخاص سيستفيدون من الدورات ويأخذون منها المهارات ولكن بشكل عام (كما ذكر سابقاً) فإن الدورة التدريبية لا تقدم مهارات، وإنما

تقوم بعمل الأساس للمصطلحات والمفردات والأفكار المتعلقة بهذه المهارات. هذه المصطلحات والمفردات ستكون مفيدة جداً لرائدي التأثير والتفاعل.

٢) رائدوا التأثير والتفاعل.

رائد التأثير والتفاعل هو شخص في المؤسسة يظهر عليه القدرة والرغبة في استخدام المهارات الجديدة فيتم تنظيمه في لجنة التفاعل والتي وظيفتها التذكير في هذه المهارات وإبقائها حية في النفوس. كما ذكر سابقاً فإن الدورة التدريبية لا تقدم المهارات ولكنها تأسس لمصطلحات مشتركة عن هذه المهارات، ولذا فعندما يتحدث رائد التفاعل عن هذه المهارة فإنه على الأقل يتكلم بلغة يفهمها الآخرون. ويجب على خطة التطوير أن تضع للجنة التفاعل النظام والموارد اللازمة لعمل التفاعل مع المؤسسة وتوجيهها خطوة-خطوة نحو المهارات الجديدة.

يجب التنبيه أن على رائدي التفاعل أن يستخدموا أسلوب النصيحة الحسنة دون استفزاز أو تجريح، إذ أنه إذا تم نشر المهارات بالاستفزاز فإن الذي يحدث في المؤسسة هو مقاومة لهذه المهارات الجديدة إما صراحة أو سياسة، ولهذا السبب فلا بد من وجود نظام للجنة التفاعل تحدد أسلوب وطريقة هذا التفاعل كي تَحد من هذه الاستفزازات.

٣) تكرار الدورات التدريبية.

يجب تكرار الدورة التدريبية بين الحين والآخر. وليس بالضرورة تكرار نفس الدورة وإنما عمل دورة أخرى بعنوان آخر يكون مضمونه مشابهاً للدورة الأساسية. السبب في ذلك أنه بعد مرحلة من التفاعل فإن موظفين آخرين (أو نفس الموظفين السابقين) سيكون لديهم اهتمام أكبر، وعند انتهاء الدورة سيكون هناك أعضاء جدد في لجنة التفاعل، وهكذا تنتشر المهارات خطوةً-خطوة في أطراف المؤسسة.

كان ذلك عن نشر المهارات في المؤسسات، ولكن نفس الفكرة يمكن تطبيقها لمجموعة من الأصدقاء. فإذا اجتمع مجموعة من الأصدقاء بينهم شخص متمكن من المهارة فإنهم قادرون أن يحددوا يوماً في أسبوع أو يوماً في شهر للتدرب والتذكير لهذه المهارة.

أما بالنسبة للأمة فوجود مراكز التدريب وتوفر الكتب لا يكفي لنشر المهارات الادارية والذكاء الجماعي. لا بد من كتلة تتولى الموضوع. والمهارات الادارية والذكاء الجماعي لا يقع ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما يقع ضمن الدعوة الى الخير. والدعوة للخير تتطلب الحكمة والنصيحة الحسنة دون استفزاز أو إلحاح أو انتقاد.

على أية حال، نشر هذه المهارات لا يحتاج الى كتلة مركزية كما لا يحتاج الى نظام مركزي ولا يحتاج الى قيادة ولا إدارة ، بل أي مجموعة من الأصدقاء المهتمين في هذا الموضوع قادرون على أن يشكلوا كتلة صغيرة لتذكير ونشر هذه المهارات في الأمة قدر استطاعتها، وكلما زادت هذه الكتل كلما تسارعت جهود التفاعل وكلما ازدادت هذه المهارات في الأمة.

إن ما سبق كان لنشر المهارات الادارية في المؤسسة وبشكل تدريجي وبأسلوب الخطوة-خطوة.

على أية حال، هناك أسلوب سريع جداً في تطوير المهارات الادارية للمهتمين وهو أسلوب الألعاب الادارية. وهذا الاسلوب هو عبارة عن قيام مجموعة من الأفراد، تحت اشراف مركز تدريبي، بمهمات محددة لمدة بين يوم الى أسبوع. وتكون هذه المهمات قد صممت بطريقة تخلق التوتر والضيق والغضب الحقيقي لدى هؤلاء الأفراد كلهم. والهدف هو إخراج الطبائع الحقيقية لدى هؤلاء الأفراد الى الضوء وإظهار تأثير هذه الطبائع على الأداء الاداري والسلوكي لديهم. وهذه هي النقطة، فبعد ظهور هذه الطبائع وتبيان تأثيرها فإن العقل قادر على وضع الأصبع على نقاط القوة والضعف في طبائعه، وعندها يكون أقدر على تطوير طبائعه واستدراك الضعف فيها. إن الاستخدام الجيد للألعاب الادارية كفيل بزرع مهارات عدة في أيام قلائل مقارنة بالأساليب التقليدية والتي تحتاج الى الشهور من الممارسة.

وضمن معلومات المؤلف فقد أراد مجموعة من المتطوعين من فترة قريبة في أوروبا من القيام برحلة استكشافية سياحية الى القطب الشمالي، وكان من أول الأمور التي فعلوها هو الالتحاق بدورة تدريبية متعلقة بمهارات التنفيذ تحت ضغط التوتر الشديد. وكان الجزء الرئيسي في الدورة هو لعبة ادارية صممت بحيث تخلق الضيق والتوتر الشديدين. وكان ميزة اللعبة أنها توفر مختبراً آمناً لملاحظة السلوك عند التعامل تحت ضغط التوتر مما ينبه الجميع الى الأمور التي يجب استدراكها. وعليه سيكونون أقدر على التعامل كفريق عندما يواجهون التنفيذ تحت ضغط التوتر في العالم الحقيقي.

خاتمة الكتاب

هل الاسلام هو الحل، أم الاسلام والاحتراف هو الحل

إذا أخذ الهاوي غير المحترف السيف البتار فإن هذا السيف سيكون وبالاً عليه وعلى من حوله، أما إذا أخذ الماهر المحترف سيفاً من خشب فإنه لن يصل الى القمة ولكن سيصنع بهذا السيف العجب، أما إذا أخذ الماهر المحترف السيف البتار فإنه سيشق به الجبال والبحار حتى الهدف.

وكذلك الاسلام، فإذا طبقه جماعات ودول لا دراية لهم بمهارات الادارة والتنظيم، فإن الكفر سيمكرون بهم كما مكروا بمن كان قبلهم. أما إذا طبقت دولة ذات دراية ومهارة نظاماً غير الاسلام فإنها لن تصل الى القمة ولكنها ستصنع العجب، وهذا ما هو حاصل في بلاد الغرب. أما إذا طبقت الاسلام دولة ذات مهارة فإنها ستشق الجبال ولن يقف في وجهها أحد، وهذا ما نريد الوصول إليه.

وأهم المهارات هو الذكاء الجماعي، والذي يمكننا نحن المسلمين من تمييز الأساسي من الفرعي، ومن تقوية الألفة والوئام بين بعضنا البعض، ويسمح لنا بتمحيص الأمور وتقليب الآراء دون خوف من شبح الشقاق والصراع فيما بيننا.

الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو محاولة التوضيح أن المسلمين لا يمكنهم الاتفاق على الفروع لأن الفروع تعتمد على أدلة ظنية، ولأن الاسلام قد أجاز الاختلاف في فهمها. ولهذا فإن الطريقة الوحيدة والتي يمكن فيها أن يكون المسلمون قوة واحدة مع اختلافهم في الفروع والآراء هو تحقيق الشعار التالي:

الاتحاد في الطريق وسعة الصدر في النظرات.

ولتحقيق هذا الشعار فلا بد من رفع الذكاء الجماعي عند الأمة.

الملحقات

المنهج العلمي ووجود ا والرسالة المحمدية

الغيبيات القرآنية والنظريات العلمية

منهج التحليل السياسي

البرمجة اللغوية العصبية

الملحق الأول

المنهج العلمي ووجود ا والرسالة المحمدية

كثير من البراهين العقلية الموجودة في إثبات وجود ا هي إثباتات تعتمد على المسلمات•. وإذا اتفق الاثنان على المسلمات فإن النتيجة تكون واضحة وصريحة. ولكن إذا اختلفوا في المسلمات فإنه من السهل جداً الجدال فيها، حيث تعتمد المسلمة على الوجدان كقول الأعرابي "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العزيز الخبير".

في حين المنهج العلمي لا يعتمد على المسلمات وإنما يعتمد على الاختبار، ولهذا السبب فالجدل فيه محدود. ولهذا فالنتيجة هو إما أن يتبنى الرجل نتيجة الاختبار أو يرده.

لاستخدام المنهج العلمي في إثبات وجود ا تعالى سنستخدم الاختبار الاحصائي:

<u>الفرضيات:</u> ١) هذا الكون تم نظامه بالصدفة.
٢) هذا الكون تنظمه قوة خارجية.

<u>الملاحظات:</u>

الكون عبارة عن أنظمة مستقلة ولكنها متضافرة، فالحياة كي تتحقق في الأرض كان لا بد للأرض والنظام الشمسي من أن يتصف بمقادير معينة، فالأرض لو كانت أقرب الى الشمس لما كان هناك حياة، ولو أنها كانت أبعد لما كان هناك حياة. ولو لم يكن هناك كوكب كبير كالمشتري يحرف المذنبات والنيازك عن الأرض لتعرضت الأرض لضربات كبيرة قاضية من النيازك. كما أن الحياة تعتمد على الأوكسوجين والماء، ولو لم يكن هناك نظام لتواجدهما باستمرار على الأرض لما كان هناك حياة. وكذلك الانسان، فقد اقترن وجوده بتضافر أنظمة مستقلة فيه كالنظام الهضمي والعضلي والعصبي وغيرها.

والسؤال هنا هو: ما هي احتمالات الصدفة في وجود نظام الكون؟

ولكن لحساب احتمالات الصدفة للكون علينا أن نعرف جميع الأنظمة فيه وهذا أقرب للاستحالة، ولكن يمكن عمل إختبار مؤشر.

• المسلمات هي أفكار أخذها الشخص مأخذ التصديق الكامل.

الاختبار المؤشر:

عندما تقوم بفنة العملة فأنت تحصل على أحد الاحتمالين: إما على صورة وإما على كتابة. الاختبار المؤشر هو معرفة احتمالات الصدفة في نظام يقوم فيه عشرة أشخاص بفنة العملة كل خمسة دقائق ولمدة ساعة، ولكن في كل مرة يقومون بالفنة فإنهم يحصلون على صورة.

الاختبار السابق هو نظام يحتوى على عشرة أنظمة مستقلة ولكنها متضافرة لانجاز عمل وهو سقوط العملة دائماً صورة كل خمسة دقائق ولمدة ساعة. والسؤال هنا: ما هي احتمالات أن تكون الصدفة هي السبب في نجاح النظام السابق في إنجاز عمله؟.

بالطبع فإن تشابك الكون أضخم بكثير جداً من النظام السابق فهو يحتوى على الملايين من الأنظمة المستقلة والتي تتضافر منذ أربعة بلايين سنة. وبالتالي فإن نسبة الصدفة في الكون ستكون أقل بكثير جداً من نسبة الصدفة في الاختبار، ولهذا فإن نسبة الصدفة في الاختبار تصلح أن تكون مؤشراً.

احتمالات أن تكون الصدفة هي السبب في نجاح نظام فنة العملة هو ٧ ضرب (١٠ للقوة -٣٧). أي فاصلة ويمينها ٣٦ صفراً ثم سبعة.

عندنا الآن عدد يمثل احتمال الصدفة في نظام العملة، وهو أكبر بكثير جداً من احتمال الصدفة في نظام الكون، والسؤال هنا: هل إمكانية الصدفة في نظام العملة معقول ومقبول أم أنه غير معقول وغير مقبول.

هناك صفة في المنهج العلمي أنها لا تفرض إجابات مفحمة ولكنها تقدم نتائج اختبار وتعطي المسئولية للشخص خصوصاً في الأمور الخطيرة الحاسمة. فمثلاً إذا كانت هناك مادة طيبة الرائحة ولكن أظهر الاختبار الموضوعي أن هناك احتمال بنسبة ٠،٩٩٩٩٩٩٩ أنها سامة وسمها مميت، فإن هذا الاختبار يقدم النتيجة ويعطي المسئولية للرجل. فإذا قرر الرجل هوى وإكبارا أن يتناولها ومات فلا يلومن إلا نفسه، وليس له عذر فيه. أما إذا تناولها ولم يمت فهو محظوظ جداً وليس له عذر أو ذكاء أو مهارة.

وهذا هو المطلوب من المنهج العلمي في الاختبارات الاحصائية: فهو يتحقق من سلامة التجربة وموضوعيتها، ويحدد نسبة الاحتمال ونسبة الخطر، ويعطي للانسان المسئولية المترتبة على هذه النتيجة.

وموضوع وجود ا هو موضوع خطير جداً لأنه إذا ثبتت أن هناك حياة آخرة فإن الرجل الناكر سيخسر فيها. فإذا قرر الرجل أن نسبة الصدفة في نظام العملة ونسبة الصدفة في نظام الكون معقول (أي أنه يمكن أن يكون نظام الكون قد جاء بالصدفة)، وكان قراره هوى وإكبار، فهذه مسئوليته وسيتحملها إذا كان خاطئاً ولن يكون له أي العذر في خطئه.

ويمكن كذلك إثبات الرسالة المحمدية بالمنهج العلمي:

الفرضيات: ١) إنجازات محمد (عليه السلام) هي إنجازات متفوقة ولكنها ضمن قدرة وطبيعة الانسان.
٢) إنجازات محمد (عليه السلام) هي إنجازات خارجة عن قدرة الانسان وطبيعته.

الملاحظات:

هناك حوالى ستة آلاف سنة من التاريخ المسجل. وخلال هذه المدة عاش في الأرض الملايين والملايين من البشر. وضمن ملاحظات التاريخ، فإنه ما من أحد تفوق في مهارة أو عمل إلا وكان له شبيه في تفوقه ومهارته. وما من أحد عمل عملاً إلاّ استطاع أحد آخر أن يعمل شيئاً شبيهاً له أو يتفوق عليه.

مثال ذلك إذا نظرنا الى الانجازات العسكرية، فيمكن أن نقول أن الاسكندر هو أكثر القادة العسكريين إنجازاً ومهارة، ولكن هناك من يشبهوه في إنجازاته ومهاراته، فكورش، وجنكيزخان، وأتيلا، ويوليوس قيصر، وغيرهم يشبهون الاسكندر في مهاراته وانجازاته، ويمكن القول أن الاسكندر يتفوق عليهم ولكن الآخرين قريبون منه. وكذلك إذا نظرت الى العلوم، فيمكن أن تقول أن آنشتاين هو أكثر العلماء الفيزيائيين إنجازاً ومهارة، ولكن إذا نظرت لوجدت أن هناك الكثير من يشبهه في إنجازاته ومهاراته، فأرخميدس، وفيثاغوروس، وجاليليو، ونيوتن، وغيرهم إن لم يتفوقوا عليه فإنهم قريبون من درجة إنجازاته ومهاراته. وهذا ينطبق على كل الانجازات الانسانية كالموسيقى والأدب والرسم والانشاء والهندسة وغيرها.

فالملاحظة هنا هو أن أي إنسان له مهارات ووصل الى انجازات فإن المجتمع الانساني لا يمكنه إلا أن يأتي بانسان آخر تكون مهاراته وإنجازاته قريبة أو متفوقة من انجازات ومهارات الأول.
ويمكن إثبات هذه الملاحظة باستعراض التاريخ وبأسلوب إحصائي.

وبالتالي فإن القول الفصل في الاثبات هنا هو إذا كان هناك شبيه لانجازات محمد (عليه السلام) فإنجازاته تكون ضمن قدرة وطبيعة الانسان. أما ثبت أنه ليس لانجازاته شبيه فعندها تكون إنجازاته ليست ضمن قدرة وطبيعة الانسان، وأن إنجازاته هي حالة فردية في التاريخ المكتوب من البشرية.

الآن، ما هي إنجازات محمد (عليه السلام):

١) لقد أقام ديانة، وهذه الديانة ما زالت قائمة وتنمو باضطراد.
٢) لقد أقام مبدأً تنبني عليها الأنظمة والقوانين والأفكار. وفي العالم الآن ثلاثة مبادئ واضحة: الرأسمالية، الشيوعية، والاسلام.
٣) لقد وضع الأنظمة والقوانين التي تعالج مشاكل الفرد والمجتمع والدولة.
٤) لقد أقام دولة وما زال ريحها قائماً.

٥) لقد أقام أمة وما زالت بكيانها ووجودها.
٦) لقد تحققت هذه الانجازات في حياته.
٧) ولقد مات عزيزاً في قومه.

أما مهارات الرسول عليه السلام فقد مات الرسول وعنده مهارات عديدة قوية، ولكن هذه المهارات قد ظهرت فجأة ودون إنذار. فلقد عاش حياة هادئة مدة أربعين سنة، ولم يذهب الى الجامعات ليدرس مهارات الادارة والقيادة، ولم يقرأ عن تاريخ القادة ومهاراتهم وأخطائهم، بل كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يأخذ أية مسئولية قيادية أو إدارية كي يأخذ منها الخبرة، وإنما كانت حياته هادئة ولم يشتهر عنه إلا أنه صادق وأمين. ولو أنه مات قبل البعثة لما ذكره أحد في التاريخ. ثم جاءت البعثة وظهرت عليه المهارات فجأة ودون إنذار ولم تمر ثلاثة وعشرين سنة إلا والعالم غير العالم والناس غير الناس.

للاختصار سنأخذ الانجازات فقط دون المهارات، ولكنك تستطيع أن تختبر الإثنين معاً إذا أردت.

<u>الاختبار:</u>

من في التاريخ يشبه محمد (عليه السلام) في إنجازاته والتي تحددت بالديانة، المبدأ، الأنظمة والقوانين، الدولة، الأمة، تحقيق الانجازات في حياته، والموت عزيزاً في قومه؟

إذا نظرت بعمق شديد في التاريخ فستجد النتيجة هي صفر. وإنما أقرب رجل لإنجازات الرسول عليه السلام هو موسى عليه السلام: فلقد أنشأ ديانة، وضع أنظمة وقوانين، وأنشأ أمة، ولكنه لم يتمكن من إقامة الدولة ومات وحيداً مفارقاً لقومه.

وهنا نأتي لنتيجة الاختبار وهي أنه ما من أحد أبداً في التاريخ قد أنشأ ديانة وأقام مبدأً ووضع الأنظمة والقوانين وأقام دولة وأقام أمة وتحققت إنجازاته في حياته ومات عزيزاً وما زالت إنجازاته قائمة إلاّ محمداً (عليه السلام).

وكما تم ذكره سابقاً، فإن المنهج العلمي لا يفرض إفحاماً وإنما يقدم نتيجة الاختبار ويعطي المسئولية للانسان. وإذا أظهر الاختبار في موضوع خطير وأساسي صحة الاحتمال الثاني وبصورة شبه قطعية، ثم جاء الرجل وجحد نتيجة الاختبار، تكبراً وإكبار، ثم جاءت الطامة وظهر البيان بصحة الاحتمال الثاني، فإن الرجل ليس له العذر ولا يلومن أحد بالضرر إلا نفسه.

الملحق الثاني

الغيبيات القرآنية والنظريات العلمية

هناك نوعين من التعارض المجازي: الأول هو تعارض الحكم الشرعي مع النظرة العقلية المجردة، وكما تم بحثه سابقاً فإن هذا التعارض ليس حقيقياً، حيث أن مجال الحكم الشرعي لا يتداخل مع مجال النظرة العقلية. النوع الثاني هو تعارض الغيبية القرآنية مع النظرية العلمية.

يجب الانتباه لما يلي:

١) المسلمون قد اقتنعوا وبأدلة واضحة بوجود ا وعلى خلقه وتنظيمه لهذا الكون.

٢) المسلمون قد اقتنعوا وبأدلة واضحة بصحة الرسالة المحمدية.

وعليه فإذا ظهر هناك تعارض بين غيبية قرآنية ونظرية علمية، فلا يجب أبداً أن نفقد برودة الأعصاب ونبدأ بالتوتر والشتيمة ونبدأ بالتوهم أن هذا قد يسبب تشكيكاً بالرسالة المحمدية، وذلك لأن الرسالة المحمدية قد ثبتت من أوجه مختلفة واضحة وصريحة. وأما التعارض مع النظرية العلمية فله الاحتمالات التالية:

١) أن يكون فهمنا للغيبية غير صحيح. مثال ذلك قول ا تعالى: "ويعلم ما في الأرحام" (٣٤-لقمان)، فأخذها البعض فهماً أن الانسان لا يمكنه معرفة جنس الجنين قبل ولادته. والذي حدث أن فهمنا لهذه الغيبية لم يكن صحيحا.

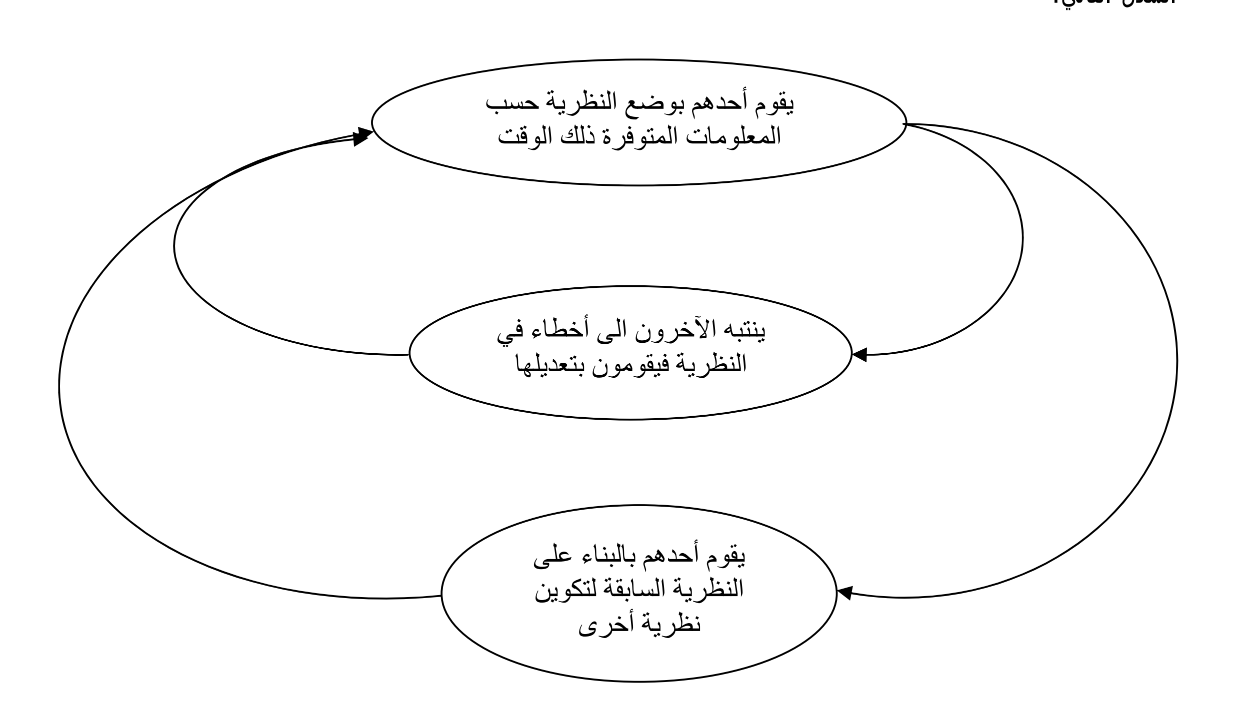
٢) أن تكون النظرية العلمية غير كاملة وغير دقيقة. ومثال ذلك قول ا تعالى: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" (٤٠-يس). لم تكن هذه لتسبب أي تعارض مع أفهام الناس لأن الظاهر لهم أن الشمس تدور حول الأرض. ولكن عندما ظهرت النظرية التي تقول أن الشمس ثابتة وأن الأرض تسير حولها، فربما شعر البعض وقتها بعدم الراحة. ولكن في أوائل القرن العشرين فقد ظهر وبوضوح أن الشمس تدور حول مركز المجرة، وأن المجرة نفسها تسبح مبتعدة عن مركز الكون. فالنظرية بأن الشمس هي ثابتة كانت تطوراً عن النظرية السابقة ولكنها لم تكن كاملة.

٣) النظرية العلمية غير صحيحة وفهمنا للغيبية القرآنية غير صحيح (أي الاحتمالان معاً).

هذه هي النقطة الأساسية : إن التعارض بين النظريات العلمية والغيبيات القرآنية ليس دليلاً على عدم صحة الرسالة المحمدية، فقد ثبتت الرسالة بطرق مختلفة، وإنما دليل على أنه إما فهمنا ليس صحيحاً وإما النظرية العلمية ليست كاملة وإما كلاهما. ولهذا السبب فقيام البعض بالتوتر والشتيمة ومحاولة الدفاع المستميت، وهندسة العلوم لتبرير الغيبيات، هو ليس ضرورياً ولا صدقاً ولا برودة في الأعصاب.

بالطبع فإنه إذا ثبت أن أحدهم يعتمد هندسة النظريات للنيل من الاسلام، فإن الاعتداء يواجه بالعداء، ولكن إذا كانت النظرية جدية ذات موضوعية فالأولى النظر إليها وببرودة أعصاب وإن أظهرت التعارض، فربما يكون فهمنا غير صحيحاً، وربما تكون النظرية غير كاملة ولكنها في الطريق الصحيح.

ولوجود أدلة واضحة وصريحة لصحة الرسالة المحمدية فإن الغيبيات القرآنية والعلوم النظرية سوف يتطابقان في النهاية. المشكلة هي أن النظريات العلمية لها طريقة سير منحنية تعتمد على القانون الأساسي في الحقائق العلمية وهو أنه لكي تصل الى الحقيقة فلا بد لك من أن تخطو الى الخطأ. وأفضل مثال هو المثال السابق، فالنظرية التي قالت أن الشمس ثابتة في الكون هي نظرية خاطئة ولكنها كانت أكثر صحة من سابقاتها وكانت خطوة ضرورية للوصول الى الحقيقة. إذ أن طريقة البحث العلمي ومنذ بدايته يتحرك بنموذج واضح كما في الشكل التالي:



ولا يمكن نكران الفضل لبداية النظرية وإن كانت بدايتها خاطئة، وذلك لأنها كانت الحافز والدافع لاكمال البحث حتى الوصول الى الحقيقة. وعليه فلا بد من النظر الى النظريات العلمية المخالفة نظرة الصبر وبرودة الأعصاب، فإن للنظرية العلمية مسار خاطئ يجب أن تمشي فيه حتى تصل الى الحقيقة.

النقطة الثالثة في هذا الموضوع هو أن غالب الافكار المبدعة تأتي نتيجة لتلاطم الأفكار وتعارضها. ولهذا فإن وجود أي تعارض مجازي فالأولى أخذه فرصة لاستخراج الأفكار الخفية.

لنضرب الأمثال. قال ا تعالى:

"حتى إِذَا بلَغَ مغْرِب الشمسِ وجدها تَغْرب في عينٍ حمئَة ووجد عندها قوما قُلْنَا يا ذَا الْقَرنَين إِما أَن تُعذب وإِما أَن تَتخذَ فيهم حسنًا" (٨٦) الكهف .
"حتى إِذَا بلَغَ مطْلع الشمسِ وجدها تَطْلُع علَى قَومٍ لم نَجعل لهم من دونها ستْرا" (٩٠) الكهف.

نقطة التعارض المجازي هنا أنه لو كانت الأرض مسطحة لكان لها مغرب ومطلع للشمس، وحيث أن الأرض كروية فإن كل نقطة بها هي مشرق ومغرب للشمس.

وكل ما قام به المؤلف أنه راجع التفاسير المتعلقة في هذه الآيات ثم وضع التعارض المجازي في أرشيف في عقله، حتى انتبه أن القرآن للناس أجمع ولكنه نزل في مكة، وعليه فيمكن أن يكون لمكة مغرب ومطلع للشمس.

وللتشبيه: فإذا تخيلت الشمس كرة جاءت الى الأرض بالحجم الذي نراه لها، وتحركت نحو الغروب، فأين تقع الشمس عندما تغيب عن مكة؟ أي السؤال هو: أين هي المنطقة التي تكون في وقت الزوال حينما تغيب الشمس عن مكة؟

وعند عمل الحسابات فإن الشمس تغيب بين مدار السرطان ومدار الجدي. وتغيب عن مكة بحوالى خمسة الى سبعة ساعات بعد الزوال. وعليه تكون الشمس وقت الزوال في المحيط الأطلنطي، وأقرب مكان لها هو سواحل الصحراء الغربية وموريتانيا والسنغال.

وبعد البحث عن طريق الانترنت عن أي مدينة في الساحل يكون فيها عين (ينبوع) ماء حامية، فوجدها في مدينة الداخلة (Dakhla) في الصحراء الغربية، وتقع مدينة الداخلة شمال مدار السرطان بـ ١٨كم.

أما تحديد مطلع الشمس فكان لا بد أولاً من تحديد المعنى من "لم نجعل لهم من دونها سترا"، وقد انتبه المؤلف لهذا المعنى في زيارة لأحد قمم جبال الألب. إن الذي يستر الشمس عن الناس هو السحاب والجبال والشجر، والمنزل والغطاء. أما المنزل والغطاء فهما من صنع البشر (بمشيئة ا)، وأما الشجر والجبال والسحاب فهو من خلق ا وليسوا من صنع البشر. وعندما زار المؤلف قمة أحد جبال الألب في الشتاء، فإنه لا يعلوك هناك جبال ولا سحاب، ولا تنبت هناك الأشجار، وإنما هي منطقة مكشوفة للشمس، ولقد اضطر المؤلف لخلع معطفه من دفء المكان هناك. الآن إذا وضعنا الأصبع على مدار السرطان ونظرنا الى مساره نحو شروق الشمس فسنجد أننا ننتهي في تايوان، ويقطع مسار هذا المدار هناك جبل شاهق (Yushan) وارتفاعه ٣٩٩٧ متر.

يجب الانتباه أن ما سبق ليس قطعياً ولا كاملاً وإنما هي سلسلة احتمالات لتفسير الآية وهناك بعض الأسئلة التي يجب الاجابة عليها:

١) عندما بدأ المؤلف البحث عن مدينة على الساحل في شمال غرب أفريقيا يكون فيها عين ماء ساخن، فإنه لم يجد غير مصدر واحد. وكان المصدر عبارة عن سائح أخذ يسجل رحلته التي قام بها من المغرب الى موريتانيا، وذكر الداخلة وذكر أن بها ينبوع ماء ساخن. ولم يجد المؤلف إلا هذا المصدر، وكان هذا منذ ثلاث سنوات. وعند كتابة هذا البحث فقد راجع المؤلف الانترنت لتثبيت المصدر فلم يجده ولم يجد أي مصدر يؤكد وجود العين الحارة في الداخلة. وبالتالي فإن وجود العين الحارة في الداخلة يعتمد على ذاكرة المؤلف والذي يعتمد على مصدر ليس له وجود الآن. ولهذا يجب وضع نسبة احتمال عالية على خطأ هذه المعلومة.
٢) إذا لم تكن هناك عين حامية في الداخلة، فهل هناك على ساحل شمال غرب أفريقيا مدينة أخرى فيها هذه العين؟
٣) إذا كان هناك عين حامية في الداخلة فهل هناك أدلة أن مدينة الداخلة هي مدينة قديمة (على الأقل قبل ٢٠٠٠ سنة)؟
٤) إذا كان هناك عين حامية في الداخلة فهل هي مشكلة أن تكون موقع الداخلة على شمال مدار السرطان بـ ١٨كم؟
٥) هل مكان مدار السرطان الآن هو نفسه قبل ١٥٠٠ سنة؟
٦) هل يوجد على جبل Yushan مدينة أثرية؟
٧) هل هناك فرق بين عبارة مطلع الشمس ومشرق الشمس؟

إن الاجابة على هذه التساؤلات هو الذي سيضع المصداقية الحقيقية للتحليل السابق.

مثال آخر. قال ا تعالى:

"وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (٥٩) الشعراء.

ونقطة التعارض المجازي هنا أن الثابت في التاريخ أن اليهود لم يرجعوا الى مصر بعد خروجهم منها.

وقد بقي هذا الموضوع نقطة تعارض مجازي في ذهن المؤلف حتى انتبه الى أن جنوب فلسطين كان تحت حكم رمسسيس الثاني ومن قبله. وكانت هذه المعلومة هي نقطة حل التعارض. وبعد مراجعة التفاسير المتعلقة بهذه الآية فإن غلبة ظن المؤلف هي السيناريو التالي:

يعاقب ا تعالى أهل مصر بالآيات العظام كالضفادع والدم وغيرها. ولما زادت حدة هذه الآيات عن درجة التحمل، ذهب أهلها الى موسى يسئلونه أن يدعو ربه ليكشف هذا العذاب ويسمحوا لبني اسرائيل بالخروج، فينكشف العذاب وينكثون.

واستمرت هذه الحالة حتى أمر ا موسى وقومه بالرحيل عن مصر، وكان الرحيل في ليلة وأصبح الناس فلم يجدوا موسى ولم يجدوا قومه.

الآن، ما هي الاحتمالات الممكنة لشعور أهل مصر لخروج موسى وقومه من البلاد. الموضوع هنا متعلق بشعور أهل مصر عامة وليس فرعون وملئه:

١) الغضب الشديد والهيجان على هذه الاهانة لرمز الأمة والدولة.
٢) الراحة وكأن صداعاً قد انتهى.

الاحتمال الثاني هو الذي يغلب على نظرة المؤلف، حيث أن الآيات العظام كانت أشد وطئة على العوام من النبلاء.

الآن، ما هي الخيارات الممكنة والمتاحة لفرعون للحاق بقوم موسى:

١) يرسل الى قواته في ليبيا والنوبة.
٢) يجمع قواته في العاصمة.
٣) يرسل الى قواته في جنوب فلسطين للقاءه في منتصف الطريق للحاق بموسى.

أما الاحتمال الأول فمستبعد حيث أن تجميع هذه القوات ووصولها يتطلب وقتاً يكون فيه موسى وقومه قد أفلتوا من يده.

أما الاحتمال الثاني فقد يكون هناك مشكلة في الوقت. ولكن المشكلة الأكبر هي أن القوات في العاصمة تعرف موسى جيداً وتعرف تماماً المعجزات التي تحدث على يده، ولربما فرحت هذه القوات بخروج موسى وقومه من عندهم. فقيام فرعون بتجميعهم للحاق بموسى قد يؤدي الى نفورهم وتكاسلهم.

وضمن النظرات السابقة فإن أفضل الاحتمالات لفرعون هو الاحتمال الثالث، وهو بهذه الحالة يستغل الوقت وكذلك فهؤلاء القوات لا يعرفون موسى ولم يختبروا معجزاته ولذا فهم أطوع لفرعون من قواته في العاصمة.

وهذا الاحتمال ينطبق على لفظ الآية " كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ".

إذا ثبت هذا الاحتمال فإن منطقة عبور البحر لم تكن في السويس وإنما في البحر الأحمر، وأن التيه لم يحدث في سيناء وإنما في جنوب الأردن.

والتيه في جنوب الأردن أقرب الى المنطق العام، فمنطقة جنوب الأردن هي منطقة منبسطة لا وديان فيها ولا تلال ولا جبال ولا منخفضات ولا مرتفعات، من دخلها وهو لا يعرفها تاه فيها. أما سيناء ففيها الوديان والتلال والمرتفعات والمنخفضات.

الآن، إن التحليل السابق يبقى احتمالات، والاثبات الحقيقي له عندما نتمكن يوماً من تحديد مكان العبور، فإذا كان فعلاً البحر الأحمر فإن هذا يضع مصداقية كبيرة للتحليل السابق.

إن المثالين السابقين هما للتوضيح أن كثيراً من التحليلات الجيدة هي نتاج تلاطم الأفكار وتعارضها. ولهذا السبب فيجب استغلال الفرصة إذا ظهرت هذه التعارضات لمحاولة تحليلها بما يتوافق مع الآية معنىً ولفظاً وما يتوافق مع سنة ا في الكون والطبيعة.

وهنا النقطة المهمة: إذا تعارضت الغيبيات القرآنية مع النظريات العلمية فإن هذ التعارض لا يؤثر أبداً على صحة الرسالة المحمدية وإنما يدل على أنه إما فهمنا للغيبية لم يكن صحيحاً أو أن النظرية العلمية ما زالت في طريق الخطأ الى الحقيقة.

النقطة الأخرى في هذا الموضوع هو أنك تستطيع استعمال المنهج العلمي لتحليل بعض الغيبيات المبهمة. إن أحد الأساليب في تحليل الحوادث السابقة هي استخدام الفرضيات المتعارضة: فإذا كان هناك محقق للشرطة وكانت هناك جريمة وكان المحقق يشتبه في جرير، فإن أحد أساليب الاستدلال التي قد يستعملها المحقق هو أن يفترض أن جرير هو المجرم، ثم يسأل نفسه: إذا كان جرير هو القاتل فما الذي يجب أن يحدث وما الذي يجب أن لا يحدث كي تتحقق هذه الفرضية، ثم يستمر في هذا الخط. ثم يفترض افتراض آخر فيقول: إذا لم يكن جرير هو القاتل فما الذي يجب أن يحدث وما الذي يجب أن لا يحدث كي تتحقق هذه الفرضية، ثم يستمر بهذا الخط. وباستمرار الاستدلال في هذين الخطين المتوازيين فربما ينتبه المحقق لفكرة مضيئة تأتي فجأة وتضع حلاً للغز الذي يواجهه.

نستطيع استخدام نفس الفلسفة لتحليل الغيبيات المبهمة. قال ا تعالى:

"وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاه لَا أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع الْبحرين أَو أَمضي حقُبا (٦٠) فَلَما بلَغَا مجمع بينهما نَسيا حوتَهما فَاتخَذَ سبِيلَه في الْبحرِ سربا (٦١) فَلَما جاوزا قَالَ لِفَتَاه آتنَا غَداءنَا لَقَد لَقينَا من سفَرِنَا هذَا نَصبا (٦٢) قَالَ أَرأَيتَ إِذْ أَوينَا إِلَى الصخْرة فَإِني نَسيتُ الْحوتَ وما أَنسانيه إِلا الشيطَان أَن أَذْكُره واتخَذَ سبِيلَه في الْبحرِ عجبا (٦٣)" الكهف

الآن، ما الذي يجب أن يحدث كي تتحقق رحلة موسى كما هي مذكورة في الآية؟ لنقم بجمع الدلائل للإجابة على هذا التساؤل:

١) يبدو أن الرحلة طويلة وذلك لقول موسى "لَا أَبرح حتى أَبلُغَ مجمع الْبحرين أَو أَمضي حقُبا"
٢) الرحلة تنتهي في مجمع البحرين أو قربها.

٣) يوجد صخرة على مجمع البحرين.

الأسئلة والاحتمالات:

١) ما هو مجمع البحرين؟
٢) هل الصخرة هي كذلك اسم المكان، أي أنها جبل أجرد واسمها عند أهلها "الصخرة". أم أن فتى موسى وصفها بالصخرة.

بعد بحث التفاسير فإن غلبة ظن المؤلف أن مجمع البحرين هو مضيق يجمع بين بحرين. وعليه فإن الاحتمالات المتوفرة لمجمع البحرين في العالم القديم وقت موسى عليه السلام هو: باب المندب، رأس الخليج العربي، شط الفرات، مضيق جبل طارق، نقطة التقاء النيل مع البحر المتوسط، ومضيق البسفور.

أما السؤال الثاني فإنه من السهل إبتداء البحث بالفرضية الأولى وهو أن اسم المكان هو الصخرة، ونستكشف هذا الخط، فإذا لم نصل الى شيء نعود الى الفرضية الثانية ونستكشف خطها.

فكان طريقة البحث هو النظر في المضائق والبحث فيما إذا كان هناك جبل أجرد هناك يسميه أهلها بالصخرة. وبعد البحث فلم يجد المؤلف أي جبل على مضيق يسميه أهلها بالصخرة إلاّ مضيق واحد وهو مضيق جبل طارق.

جبل طارق عند الغرب هو جبرلتار وهو ليس اسم الجبل وإنما هو اسم المدينة على سفح هذا الجبل. أما الجبل نفسه فيسميه الغرب بصخرة جبرلتار (The Rock of Gibraltar) وكان يسميه الإغريق قديماً "عامود هرقل" (Pillar of Hercules).

وكذلك فإن البحث لم يكتشف أية جبل أجرد فوق سهل في هذه المضائق إلاّ جبل طارق، فهو جبل أجرد فوق سهل كبير (ضع في مولدات البحث في الانترنت العبارة التالية: The Rock of Gibraltar وانظر الى صور جبل طارق).

الآن، إن ما سبق هو مجرد غلبة ظن لمجموعة من الاحتمالات، التأكيد الحقيقي يتم عندما يتم التحقق وبشكل عميق لكلمة "مجمع البحرين" والتأكد من معانيها المختلفة، وكذلك البحث العميق المباشر فيما إذا كانت هناك "صخرة" على مجامع البحار غير جبل طارق. إن القيام بهذه الأبحاث العميقة والمباشرة هو ما يؤدي الى إثبات أو إضعاف التحليل السابق.

إن المؤلف على قناعة كاملة أن الأيام ستقوم بشرح معظم الغيبيات القرآنية. وأن الطريقة التي يمكن فيها تسريع حدوث هذه الأيام هو بالالتزام بمنهج صحيح في التحليل. بالطبع فإنك قد تبدأ من النقاط الخاطئة ولكن وجود المنهج الصحيح في التحليل سيقوم يوماً باستدراك هذه الأخطاء، فربما كانت التحليلات السابقة أخطاء ولكنها بالتأكيد ستفتح الباب أمام من يستدركها.

وضمن نظرة المؤلف فإن المنهج الصحيح في تحليل الغيبيات القرآنية يعتمد على العوامل التالية:

١) يجب أن تحيط بتفاسير السابقين لهذه الغيبية. حيث أنك إذا لم تفعل، فتكون تفسر القرآن بالعقل دون علم. وإذا أردت أن يكون تحليلك قريباً من الصحة فعليك أن تبنيه على علم، ويجب أن تبدأ حيث انتهى الآخرون.

٢) يجب الاحاطة بالمعلومات العلمية المتوفرة والمتعلقة بالغيبية القرآنية. فإذا كانت الغيبية عن موسى عليه السلام وفرعون فيجب الالمام بتاريخ مصر وأحداثها.

٣) من الخطأ الشديد أن تقوم بافتراض المعجزة لحل التناقض والابهام. إن المعجزات هي أمور خارقة للكون والطبيعة، وإذا ثبت الخبر بالمعجزة بنص قرآني أو نبوي واضح وثابت فإنها حق لا جدال فيه، وإذا لم يكن هناك خبر بحدوث المعجزة، فالأولى تحليل الأحداث بما يتوافق من سنة الله في الكون والطبيعة لقول الله أن سنته لن تتغير ولن تتبدل: " فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا" (فاطر – ٤٣). ولهذا فإذا جاء أحد بافتراض حدوث معجزة لحل التعارض أو الابهام دون وجود نص واضح وثابت فهو يخلط الوهم بالحقيقة. مثال ذلك هو خروج موسى عليه السلام وقومه من مصر. والسؤال هو كيف استطاع موسى عليه السلام وقومه من ترتيب الخروج دون أن يفطن فرعون لهذا، ألم يكن له جواسيس، ألم يكن في بني اسرائيل خونة؟؟. الآن، إن القيام بحل هذا الابهام بالافتراض أن الملائكة أتت وصمت آذان الجواسيس وأعمت أعينهم، هو افتراض المعجزة لحل هذا الابهام، وليس لهذه المعجزة نص واضح وثابت، وافتراضها هو خلط بين الوهم والحقيقة. وربما بعد البحث يتبين أن فرعون كان يعلم بنية موسى للخروج من مصر وربما سهل لهم ذلك. أما السبب فهو أن فرعون أراد وبجدية أن يقتل موسى ولكن يبدو أن هذا لم يكن متوافقاً مع رغبة جميع أهل الحل والعقد عنده إذ قال الله تعالى: " وقَالَ فرعون ذَروني أَقْتُلْ موسى ولْيدع ربه إِنِي أَخَافُ أَن يبدلَ دينَكُم أَو أَن يظْهِر في الْأَرضِ الْفَساد" (٢٦-غافر). وعليه فربما وجدها فرعون فرصة أن يخرج موسى وقومه من العاصمة فيخلو له حرية التصرف ويجمع قواته وينهي هذا الموضوع برمته وبضربة واحدة.

٤) كل التحليلات في هذا المجال هي احتمالات، ويمكن أن يغلب الظن على إحداها ويستبعد الظن على إحداها الآخر. ولكن يبقى الأمر كله احتمالات. المشكلة الكبرى عندما يبدأ الجدل في هذه الاحتمالات ويبدأ الصراع مع الآخرين لأجلها. وإن بدأ رجل بالجدل في هذه الاحتمالات فقد خسر مهارة التفكير والاستنتاج. إذ أن مهارة الاستنتاج تتطلب شدة الانتباه الى دقائق الأمور والاستعداد لتعديل أو تغيير الاحتمالات إذا ظهرت معلومات جديدة. أما إذا ظهر الجدل، فإن الجدل لا يؤمن بالاحتمالات، وإنما يؤمن بالحق المطلق أو الخطأ المطلق. ومن تغلبت عليه هذه الصفة فقد خسر قدرة الانتباه ومهارة

الاستنتاج.

٥) إذا لم تستطع أن تحل التعارض المجازي أو الابهام بشكل يتفق مع النص القرآني والنبوي معنى ولفظاً وبشكل يتفق مع سنة ا في الكون والطبيعة (مع أخذ الاعتبار للمعجزات الواضحات الثابتات) فضعها في أرشيف في عقلك واتركها، فإن المعلومات اللازمة ليست متوفرة بعد. وسيأتي لها الدور يوماً من الأيام.

أخر مثال هنا على طريقة استخدام منهج التحليل في شرح الغيبية هو قصة موسى عليه السلام مع فرعون:

بعد النظر في التفاسير القرآنية في قصة موسى عليه السلام وفرعون وبعد النظر الى التاريخ المصري القديم فإن هناك غلبة الظن للأحداث التالية:

١) الثابت أن بلاد الشام كانت تحت سيطرة مصر حتى زمن رمسيس الثاني. وقاد رمسييس الثاني معركة قادش في بلاد الشام ضد الحثيين (من بلاد الأناضول) والتي انتهت بأول معاهدة سلام مسجلة في التاريخ بين مصر والحثيين. وعليه فيغلب على الظن أن ظهور موسى عليه السلام كان في وقت رمسيس الثاني أو بعده.

٢) الثابت أن مرنبتاح (خليفة رمسيس) قد قاد حملة ضد بني اسرائيل وذلك لأن الأثر الوحيد الذي يذكر فيه بني اسرائيل هو لوح يذكر غزوات مرنبتاح ويذكر ضمنها قضاءه على بني اسرائيل. وعليه فإن المنطق يقول أن ظهور موسى عليه السلام كان في عهد مرنبتاح أو قبله.

٣) إن رمسيس الثاني حكم الى التسعين من عمره، وعندما كشفوا عن جثته وجدوا أنه كان يعاني أوجاع الأسنان والتهابات المفاصل. الآن، هل يمكن لرجل في التسعين ويعاني أوجاع الأسنان والمفاصل من أن يكون الحاكم الحقيقي للدولة؟
إن هذا مستبعد، حيث أنه لا توجد سوابق تاريخية كثيرة لأناس حكموا الدولة بشكل حقيقي وهم في التسعين. ولهذا فإن المؤلف، كنقطة بداية للبحث، يستبعد أن يكون رمسيس الثاني هو الحاكم الحقيقي لمصر في أواخر حياته.

٤) يذكر التاريخ أن مرينبتاح قد حكم مصر عشرة سنوات قضى أكثرها خارج العاصمة في حروب ضد استقلال النوبة وليبيا. ولهذا السبب فإن المؤلف يستبعد أن يكون مرينبتاح هو فرعون موسى.
٥) بالاضافة لما سبق، فعندما تم الكشف عن جثتي رمسيس ومرنبتاح لم يجدوا أية آثار للغرق.

هنا نحصل على تناقض. ونظرة المؤلف لحل هذا التناقض هو أن يكون هناك فرعون آخر بين مرينبتاح ورمسيس الثاني. والسؤال هنا: هل هذا ممكن؟

ضمن تاريخ مصر القديم فقد قام بعض الفراعنة بمحو آثار وأخبار من سبقوهم وذلك لأسباب دينية أو سياسية أو كرهاً فيهم. ولذا فإن وجود فرعون آخر بين رمسيس الثاني ومرنبتاح هو غير مستحيل ولكن لا يوجد أي دليل علمي له. وعلى أية حال فإن المؤلف قد وضع هذا الاحتمال لوجود بعض الانسجام بين هذا الاحتمال والنصوص القرآنية.

الاحتمال هو أن هناك إبن لرمسيس من أم وضيعة وأنه استطاع أن يصل الى القمة رغماً عن إخوانه الآخرين، وكان الحاكم الحقيقي في أواخر حكم أبيه. والطريقة التي وصل بها الى القمة هو الحظوة عند أبيه وقدرته على تشقيق الآخرين الى شيع وكتل وطوائف مختلفة يكون هو في مركزها. وهذه الفلسفة في الحكم في غاية الذكاء، وقد استعملها الرومان في جمهوريتهم وما زال يستعملها الانجليز في سياساتهم. والفلسفة هي تشقيق الآخرين الى أحزاب وطوائف ويكون الحاكم في المركز، فلا يستطيع الأول التمرد خوفاً من الثاني ولا يستطيع الثاني التمرد خوفاً من الأول، فيصبح وجود الحاكم ضرورياً وليس جبرياً لخلق التوازن. وميزة هذه الفلسفة أنها تصنع سيطرة حقيقية للحاكم دون الحاجة للحديد والنار، وضريبتها أنها تحتاج الى نوع من لعبة الشورى والأخذ والرد.

لنرى الآن النص القرآني. قال ا تعالى:

"إن فرعون علا في الأرض وجعلَ أهلَها شيعا يستَضعفُ طَائِفَةً منْهم يذَبح أَبنَاءهم ويستَحيي نساءهم إنه كان من الْمفْسدين" (٤-القصص)

والعلو له معنيان رئيسيان: التكبر والارتفاع. أما المعنى الأول فهو ينطبق على رمسيس الثاني، فقد كان أكثر فراعنة مصر تكبراً وتجبراً، وقد ملأ مصر بتماثيله وأعمدته. ولكن التجبر والتكبر يتعارض مع قيام فرعون بمحاولة إقناع أهل الحل والعقد بقتل موسى عليه السلام:

"وقالَ فرعون ذَروني أَقْتُلْ موسى ولْيدع ربه إني أَخَافُ أن يبدلَ دينَكُم أَو أَن يظْهِر في الأَرضِ الْفَساد" (٢٦-غافر).

"يا قَومِ لَكُم الْملْك الْيوم ظَاهرِين في الْأَرضِ فَمن ينصرنَا من بأْسِ الله إِن جاءنَا قالَ فرعون ما أُرِيكُم إِلا ما أَرى وما أَهديكُم إِلا سبِيلَ الرشَاد" (٢٩-غافر).

ولهذا فإن غلبة الظن أن العلا هنا تعني الارتفاع. وامتداد هذا الخط هو أن يكون فرعون موسى وضيعاً وارتفع.

أما فلسفة الحكم عند فرعون موسى فقد قال ا تعالى: "إن فرعون علا في الأرض وجعلَ أهلَها شيعا يستَضعفُ طَائِفَةً منْهم يذَبح أَبنَاءهم ويستَحيي نساءهم إنه كان من الْمفْسدين" (٤-القصص)

لنكمل السيناريو المحتمل:

تربى موسى في قصر رمسيس الثاني، ويبدو أن الحال قد تطور مع موسى ليصبح مؤثراً في أحد الأحزاب الرئيسية في مصر. وكان ضمن جدال مع خصم له من حزب آخر فضربه وقتله خطأً. وتآمر الحزب الآخر ليقتل موسى ولكن موسى نجح بالخروج الى مدين.

قال الله تعالى: "ودخَلَ الْمدينَةَ علَى حينِ غَفْلَة من أَهلها فَوجد فيها رجلَينِ يقْتَتلانِ هذَا من شيعته وهذَا من عدوه فَاستَغَاثَه الذي من شيعته علَى الذي من عدوه فَوكَزه موسى فَقَضى علَيه قَالَ هذَا من عمل الشيطَانِ إِنه عدو مضل مبين" (١٥-القصص).

ولفظة "من شيعته" تختلف تماماً عن لفظة "من قومه"، ففي ذكر قارون فإن اللفظة هي "من قوم موسى". ولهذا فيغلب على الظن أن "شيعته" لا تعني "قومه" وإنما تعني أحد الأحزاب الموجودة في مصر.

ذهب موسى الى مدين وتعرف على شيخ جليل هناك. والظاهر أن موسى لم يكن ينوي المكوث هناك طويلاً وإنما كانت نيته أن يرجع الى مصر بعد أن تهدأ الأمور. ولهذا فقد اشترط الشيخ الجليل على موسى أن يبقى معه ثماني سنوات. ووفى موسى بالشرط ثم رجع الى مصر.

لماذا رجع موسى عليه السلام الى مصر، وماذا حدث في مصر جعلت رجوع موسى اليها آمناً؟

الذي يغلب على الظن هو موت رمسيس الثاني، فيبدو أنه عندما خرج موسى من مصر كان رمسيس في الثمانين من عمره وكان الجميع يتوقع موته. وبموت رمسيس الثاني فإن توازن القوى للاحزاب فيها قد اختلف، ويبدو أن الحزب الذي كان ينتمي اليه موسى قد أخذ الأفضلية.

في الطريق الى مصر فإن الله تعالى قد جعل موسى رسولاً له الى فرعون أن يسمح لبني اسرائيل الخروج منها.
ورجع موسى الى مصر واجتمع مع فرعون وألقى عليهم المعجزة. الآن، لو أن موسى رجل عادي لما كان من المستحيل لفرعون أن يفكر في قتله فوراً، ولكن موسى قريب جداً من حزب الأفضلية وكان فرعون أذكى من ضرب التوازن في حكمه. فكانت خطة فرعون هي كسب الوقت في محاولة تنفير حزب الأفضلية من موسى. ولهذا فقد طلب من رجاله جمع السحرة الى الميدان العام، وكان خطة فرعون هو أن يستطيع السحرة أن يرعبوا الناس وبدرجة أكبر من قدرة موسى وعندها تكون يد فرعون حرة في التعامل معه. فشلت هذه الخطة فشلاً ذريعاً ولكن فرعون استطاع تدارك الموقف باتهامه للسحرة أنهم أعوان موسى وأنهم اتفقوا مع موسى لاحراج فرعون.

قال ا تعالى:

"قالَ فرعون آمنتُم به قبلَ أن آذَن لكُم إِن هذَا لَمكْر مكرتُموه في الْمدينَة لِتُخْرِجواْ منْها أَهلَها فَسوفَ تَعلَمون"(١٢٣-الأعراف)

"قالَ آمنتُم لَه قبلَ أَن آذَن لكُم إنه لكَبِيركُم الذي علمكُم السحر فلَسوفَ تَعلَمون لأُقَطعن أَيديكُم وأَرجلَكُم من خلاف ولأُصلبنكُم أَجمعين" (٤٩-الشعراء)

كانت خطة فرعون التالية هي اهمال موسى عليه السلام. ويبدو أن فرعون قد وجد أنه ليس من الحكمة قتل موسى لأنه قد يؤثر على توازن القوى عنده، وفي المقابل فإنه وجد أن موسى لا يشكل خطراً عليه، فكانت النتيجة المنطقية له هو إهمال موسى عليه السلام. ولكن رسالة موسى عليه السلام لبني اسرائيل شجعتهم على التمرد، وأدى هذا الى غضب بعض المقربين من فرعون فاعترضوا عليه بحجة أن هؤلاء يذرون آلهتهم، فأرضاهم فرعون وسمح لهم بمعاقبة بني اسرائيل المتمردين دون التعرض لموسى عليه السلام. قال ا تعالى: "وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون" (١٢٧-الأعراف).

فشلت خطة الاهمال وذلك لظهور آيات ا العظام: "فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" (١٣٣-الاعراف)

وبدأت الشكاوي على فرعون بالتفاقم ولكن فرعون كان في غاية الخبث في ردها، والظاهر أنه جمعهم في مؤتمر عام واستمع لأفكارهم وشكواهم، وكانت نتيجة المؤتمر أن أمر فرعون وزيره ببناء صرح كبير حتى يستطيع فرعون من البلوغ الى السماء وينظر إذا كان إله موسى هناك.

قال ا تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ" (٣٧-غافر).

إن ما فعله فرعون يشبه تماماً ما فعله صدام حسين في العراق، فعندما انهالت على صدام الانتقادات على نظام حكمه الديكتاتوري، قام بعمل استفتاء للشعب على الثقة في حكمه. وكانت نتيجة الاستفتاء أقرب للكمال. وبالطبع فلم يصدقه أحد ولكنه استطاع أن يخرس بعض الألسن. وهذا ما فعله فرعون تماماً، ولم يصدقه أحد ولكنه استطاع إخراس الكثير من الألسن وكـأن حالهم يقول: فلننتظر حتى يبني فرعون هذا الصرح ثم نرى ما نفعل.

على أية حال فإن فرعون قد بدأ بجدية التفكير في قتل موسى عليه السلام، وقد وضع الاجتماعات لهذا الأمر، ويبدو أن حزب الأفضلية لسبب أو لآخر كان يرفض هذا العمل.

قال ا تعالى:

"وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ" (٢٦-غافر).
"يا قَومِ لَكُم الْمُلْكُ الْيوم ظَاهِرِين في الْأَرضِ فَمن ينصرنَا من بَأْسِ الله إِن جاءنَا قَالَ فرعون ما أُرِيكُم إِلا ما أَرى وما أَهديكُم إِلا سبِيلَ الرشَاد" (٢٩-غافر).

فشل فرعون في أخذ موافقة حزب الأفضلية على قتل موسى عليه السلام. فكانت له خطة أخرى، إذ يبدو أنه قرر استفزاز موسى عليه السلام وبني اسرائيل لكي يخرجوا خفية من مصر، وذلك لأن خروج موسى عليه السلام وبني اسرائيل خفية من مصر ستعطيه العذر الحقيقي للقضاء على زعيم هذا التمرد وبضربة واحدة.
قال ا تعالى:

"فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا" (١٠٣-الاسراء).

وما أن ظهر خروج موسى حتى أظهر فرعون الغضب الشديد لهذه الاهانة على سيادة الدولة وكرامتها، ونجح في جمع السلطات في يده وبدأ بتجميع القوات. ويبدو أن فرعون أدرك أنه من الأفضل عدم الاستعانة بالقوات الموجودة في العاصمة حيث أن هؤلاء يعرفون موسى ويعرفون المعجزات التي تحدث على يديه، فكان أن أرسل الى قواته في جنوب فلسطين كي يلاقوه في سيناء. وأخطأ موسى الطريق فإذا هم بين البحر وبين فرعون، وهنا انشق البحر الى جبلين عظيمين وممر جاف سلكه بني اسرائيل.

ماذا يفعل فرعون الآن؟

إن الحل الوحيد عنده هو أن يتجرع كبريائه وينسحب. ولكن وبأقل من لحظة، انتبه فرعون أنه إذا استطاع أن يلحق بموسى وقومه فإن موسى لن يقدر أن يضم البحرين عليهما معاً. فأمر الجيش بسرعة الهجوم وسرعة اللحاق ببني اسرائيل.

الذي لم ينتبه له فرعون أن من فَرقَ البحرين قادر أن يضمهما معاً من أطرافها. ويبدو أن هذا ما حدث، فقد بدأت المياه تنغمر وببطأ من الطرف القريب من فرعون حتى غرق فرعون.

أما الدليل أن المياه قد انغمرت ببطأ فإن الجبلين العظيمين لو انغمرا فجأة لكان موت فرعون لحظياً، ولكن موت فرعون كان بطيئاً جداً، حتى أنه في النهاية قد تنازل عن كبرياءه وآمن با دون جدوى.

ويحكم بعده مرنبتاح. ويبدو أن مرنبتاح كان يكره فرعون موسى، ربما لأنه أخذ الحكم رغماً عن اخوته. فقام بمحو كل أثاره ومحو تاريخه وأخباره وسجلاته بالضبط كما فعلها قبله حورمحب بمئة عام فقط عندما قام بمحو تاريخ اثنين ممن كانا قبله وهما آي، وتوت عنخ آمون.

ضمن معلومات المؤلف فقد كان هناك رجلين امتلكا القوة العقلية المتميزة وكان بامكانهما ضمان الدنيا كلها والآخرة معاً، ولكن التكبر وعزة الاثم في نفسيهما منعاهما من ذلك، والتكبر والجهالة توأمان. أما الأول فهو عمرو بن هشام (أبو جهل): فقد كان نظام قريش أن دار الندوة لمن بلغ الأربعين، ودخلها أبو جهل وعمره ثلاث وثلاثون سنة. وقد قال رسول ا عليه السلام: اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين. ولو أن عمرو بن هشام سبق عمر بن الخطاب لكان عزيز الدنيا والآخرة معاً. والرجل الثاني هو فرعون: فقد أرسل ا الرسل الى الأمم، إلاّ موسى عليه السلام فقد أرسله ا أولاً الى فرعون. وكانت بدايات الرسالة قول الرسول عن ا "السلام على من اتبع الهدى" ولو أن فرعون أجاب بالسلام لكان أخذ الدنيا والآخرة معاً.

قال ا تعالى: فَأْتِيَاهُ فقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧-طه).

إن التحليل السابق كله كان احتمالات تخمينية، وكان الهدف منها هو محاولة إيجاد سيناريو ينطبق تماماً على النصوص الغيبية معنى ولفظاً، وينطبق على التاريخ وطبيعة الانسان. ويعتمد هذا التحليل على أمرين اثنين:

١) أن هناك فرعون قد حكم مصر بين رمسيس الثاني ومرنبتاح. وإذا ثبت أن هذا الاحتمال غير صحيح فلا بد من البحث عن خط آخر جديد للتحليل.

٢) إن فكرة البحث اقتضت التخمين أن هناك تأثير حقيقي لموسى عند حزب الأفضلية. والسبب هو أن فرعون لم يصرح أبداً في قتل موسى إلا في آخر المطاف وكان يطلب التأييد في هذا العمل، في حين أنه قد قتل السحرة شر قتلة دون تردد. والسؤال هنا: هل هذا التخمين صحيح، وهل هناك أسبقية تاريخية تجعل هذا التخمين ممكناً. وإذا ظهر أنه لا توجد أي أسبقيات تاريخية فلا بد عندها من البحث عن خط آخر للتحليل.

الملحق الثالث

منهج التحليل السياسي

لو أن كل المعلومات عن الأحداث السياسية متوفرة لما كان هناك حاجة للتحليل السياسي. وإنما جاءت الحاجة للتحليل السياسي بسبب عدم توفر المعلومات الكافية. أي أن منهج التحليل السياسي يقوم بتحويل المعلومات غير الكافية الى تصور سياسي واضح.

ومنهج التحليل السياسي هو أحد فروع المنهج العلمي. ومراحل منهج التحليل السياسي هي: الملاحظة والاحاطة، وضع الاحتمالات، التقييم، والاختبار.

وبالطبع يمكنك الابتداء من أي مرحلة من مراحل التحليل السياسي ولكن عليك أن تدور على جميع المراحل قدر الامكان.

والاختبار في التحليل السياسي هو التنبأ الكامل. بمعنى: هل الأحداث التالية والمعلومات الجديدة عن الأحداث السابقة تنطبق مع التحليلات والاحتمالات السياسية المتبناة. وإذا لم تنطبق تماماً فلماذا وأين كان الخطأ في التحليل، وكيف يمكن التعلم من هذه الأخطاء، وهكذا.

وهناك أربعة أمور ضرورية لنجاح التحليل السياسي:

١) فهم عام لطبيعة وكيفية الصراع الذي يحدث بين الدول قديمها وحديثها.
٢) فهم عميق للفلسفات التي تحدد طريقة تفكير الدول المتورطة بالحدث، وهذا يتطلب دراسة لمبدئهم وعقيدتهم ومميزاتهم ومنعطفات تاريخهم ومعرفة لمشاكلهم السابقة وكيفية الحلول التي وضعوها، والمصالح الحيوية وغير الحيوية لهم.
٣) العمل الصحفي الذي يمكن من جمع فتات المعلومات التي تشرح طبيعة الأشخاص المؤثرين في الأحداث والصراعات بينهم.
٤) تطبيق مبدأ الاحتمالات في التحليل السياسي.

<u>١) فهم عام لطبيعة وكيفية الصراع الذي يحدث بين الدول قديمها وحديثها:</u>

إن الانسان لا يتغير عبر التاريخ فغرائزه ورغبته في حيازة المصالح هي نفسها منذ خلق ا الانسان، وطبيعة الصراع لم تتغير كثيراً بين الدول. ولهذا ففهم التاريخ فهماً سياسياً صحيحاً سيسمح بتخمين الكيفية التي يحدث فيها الصراع الآن. بالطبع فإن التاريخ لا يعيد نفسه، ولكن تطبيق التاريخ على الأحداث الحالية سيقدم نقطة بداية جيدة لتحليل الأحداث الحالية.

هناك فلسفات أخذها المؤلف من دراسة التاريخ وهي وإن كانت افتراضية إلا أنها مناسبة كنقطة بداية للتحليل السياسي:

أ) من الأفضل أن تكون مخطئاً ولكن في الطريق الصحيح من أن تكون مصيباً ولكن في الطريق الخطأ.

المغزى فيما سبق هو أن الانسان لا يمكن أن يكون مصيباً دائماً أو مخطئاً دائماً، ولكن إن كان الشخص على المنهج والتفكير الصحيحين فستأتيه الفرصة لاحقاً لإستدراك أخطاءه وتزداد وتيرة الصحة في أحكامه مع تعمقه في البحث. أما إن كان منهج الشخص في البحث والتفكير خاطئاً وبدأ مصيباً في أفكاره فإنه سيخطأ فيها لاحقاً وتزداد وتيرة الأخطاء بازدياد انغماسه في منهج التفكير الخاطئ.

ب) الهاوي عندما يصارع المحترف فإن الهاوي قد يفوز في بعض الجولات ولكن النصر في النهاية للمحترف.

هذه فرضية بنيت على النظرة الى التاريخ. حتى أن جوزيفوس المؤرخ اليهودي الروماني قال في معرض تسجيله لأحداث الثورة اليهودية في فلسطين عام ٦٦ ميلادية أن الثورة محسومة بالفشل لأن قادة الثورة هم مجموعة من الهواة يقاتلون جيشاً محترفاً.

الفرضية السابقة ليست قانوناً بل فلسفة، أي من الممكن أن يظهر لها استثناءات. ولكن التبني بأن جماعة ما أو دولة ما هي استثناء للفلسفة يجب أن يكون مؤيداً بأدلة واضحة. أي أنه من الخطأ الشديد استخدام الأمل وأفكار التمني لاستثناء دولة أو جماعة ما من هذه الفلسفة. وعليه فإن لم يكن هناك أدلة واضحة تجعل دولة ما مستثناة من الفلسفة السابقة فإنه من الأفضل أن تكون مخطئاً ولكن على منهج الصحيح من أن تكون مصيباً على منهج الهوى والتمني.

إن هذه الفرضية تصلح أن تكون أساساً لفرضية أخرى في الانتصار: لكي تنتصر على المحترف يجب أن تقوم بتطوير مهاراتك ومهارات فريقك الى درجة الاحتراف.

ت) الضعيف الهاوي عندما يلاعب ويصانع ويماكر القوي المحترف فإن الغالب الأعم في النهاية أن يذوب الضعيف في إرادة القوي وأن يسير الضعيف في فَلَك القوي.

بنيت هذه الفلسفة على النظرة الى التاريخ. والمؤلف لا يعرف يقيناً ماذا كان يفكر جمال عبد الناصر أو الملك فيصل ولكن حتى وإن فرضنا جدلاً بنيتهم بمراوغة الغرب لكسب الوقت للنمو، إلا أن ضعف مهاراتهم وضعف مهارات أجهزتهم الإدارية قد جعلت من دولهم في النهاية قاعدة للغرب.

من الطبيعي أن يكون هناك استثناءات ولكن كما ذُكر سابقاً فإن تبني الاستثناء يتطلب أدلة موضوعية وواضحة. وإن لم تكن هذه الأدلة فإنه من الأفضل أن تكون مخطئاً في الطريق الصحيح من أن تكون مصيباً في الطريق الخطأ.

ث) الصراع هي صفة طبيعية للبشر ولا يمكن تجميدها أو إلغاءها وإنما يمكن حرفها أو تحييدها أو توجيهها.

ويمكن تقسيم الصراع بين الدول الى ثلاثة أنواع رئيسية: التنافس، الصراع البارد، والحرب. التنافس يكون بين الدول المتحالفة أو المتصادقة، والصراع البارد يكون بين الدول التي تتعارض مصالحها الحيوية ولكن دون أن يؤدي هذا التعارض الى الحرب، والحرب يكون بين الدول التي وصل التعارض بينهم الى الدرجة التي لا يمكن السكوت عليها. من السهولة تمييز الصراع البارد والحرب إذا حدث بين الدول، أما التنافس فإن تحليله ليس بالأمر السهل. ومن النظرة الى التاريخ فإن طريقة التنافس بين الأصدقاء تكون بقيام كل طرف (حسب مهاراته) بتقسيم أهدافه الى مراحل، بحيث لا تسبب كسب كل مرحلة عداء الأطراف الأخرى. وبسبب التشابك بين الأصدقاء، فإن كسب كل مرحلة يتطلب عمليات معقدة من التفاوض والدبلوماسية والتنازلات المتداولة حتى الوصول الى حالة مقبولة بينهم. وبعدها يتم الدخول في المرحلة التالية من الخطة وهكذا. والنصر الحقيقي بينهم يكون للطرف الذي تتراكم معه نقاط النجاح على مدى الأيام والسنوات. الطريقة والتي يمكن فيها من تحليل التنافس بين الأصدقاء يكون بفهم مهارات الأصدقاء كلهم وفهم الأهداف الأهداف الاستراتيجية لكل واحد منهم ثم متابعة سلوكياتهم.

<u>٢) فهم عميق للفلسفات التي تحدد طريقة تفكير الدول المتورطة بالحدث:</u>

هناك مثل عن التحليل السياسي يقول: أن الشخص لا يستطيع أن يرى الطائرة أو يعرف اتجاهها بعد أن أصبحت في السماء بحجم الذبابة إلاّ للذي راقبها وهي تقلع من المدرج ولم تغب عن ناظريه.

والطريقة التي يمكن فيها استنتاج إتجاه المستقبل للدول المتورطة بالأحداث هو فهم الماضي ورسم خط البيان لأحداثه ثم استنتاج خط المستقبل منه. وهذا ما قالته العرب عن العقل: الاصابة بالظنون ومعرفة ما يكون بما قد كان.

الفهم العميق للفلسفات التي تحدد تفكير الدول المتورطة بالأحداث هو دراسة للتاريخ من زاوية خاصة وعميقة لهذه الدول. فالنقطة السابقة كانت دراسة عامة للتاريخ لإدراك طبيعة الصراع عند الدول بشكل عام. النقطة الحالية هي دراسة عميقة لتاريخ الدول المتورطة بالأحداث السياسية الحالية. ودراسة التاريخ تتعلق بمعرفة مبادئهم وعقائدهم وصفاتهم العامة ومميزاتهم ومنعطفات تاريخهم والكيفية التي قاموا بحل مشاكلهم السابقة.

و قد يكون قائد الدولة عبقرياً متميزاً ولكن صناعة السياسة وتنفيذها يتطلب أجهزة إدارية مختلفة، وإذا لم تكن فلسفات وصفات الأجهزة الادارية مناسبة لعبقرية القائد، فإن النتيجة الحتمية هي فشل القائد. ورجال الأجهزة

الادارية من المجتمع، ويؤثروا في المجتمع كما يؤثر فيهم المجتمع. فمعرفة صفات ومميزات المجتمع ستقدم صورة قريبة (وليست قطعية) لصفات الأجهزة الادارية وتكون نقطة بداية جيدة للبحث. كما أن فرع الشجرة لا ينمو من الفراغ وإنما يرتبط بشكل أو بآخر مع الجذع، فكذلك أسلوب التفكير وحل المشاكل عند الدولة فهي بشكل عام مرتبطة بشكل أو بآخر بتاريخ هذه الدولة.

ما هي الحاجة لفهم فلسفات الدول المتورطة بالأحداث؟
لأن هذه الفلسفات هي جهاز الفلترة والتي يمكننا من فلترة المعلومات وتمييزها وتصنيفها. إن المعلومات المتوفرة والتي تحدث من الدول لا تعبر بالضرورة عن الحقيقة وإنما هناك أهداف أخرى لهذه المعلومات أهمها: تحديد السياسة الحقيقية للدولة، التعبير عن السياسة الرسمية للدولة، جس النبض، الرسائل غير المباشرة بين الدول، التمنية والترغيب، التخويف وحرب الأعصاب، الترضية، تسجيل المواقف، الإشاعة، الخ.

لضرب المثال: هناك قصة تقول أن تشرتشل عندما قابل الملك عبد العزيز فإنه طلب منه وبشكل واضح وشديد من عمل علاقات دوبلوماسية مع إسرائيل. وبالطبع فقد رفض عبد العزيز هذا الطلب تماماً، وعندها لانت لهجة تشرتشل.
السؤال هنا: هل كان تشرتشل يريد حقاً أن يقيم الملك عبد العزيز علاقات دوبلوماسية مع إسرائيل.
مستبعد جداً. إن الظروف في ذلك الوقت لم تكن تسمح لأي دولة عربية حتى مجرد التفكير في هذه الخطوة.
فماذا كان هدف تشرتشل من هذا الطلب؟
يغلب على الظن أن تشرتشل كان فقط يريد تسجيل موقف له. ولذا فهذه القصة لا تتعلق بالسياسة الحقيقية لانجلترا وإنما تتعلق بتسجيل موقف.
وبالطبع فإن أهم المعلومات المصنفة هي المعلومات المتعلقة بالسياسة الحقيقية للدولة. ولكن يجب عدم إهمال باقي أصناف المعلومات لأنها هي المؤشر على صحة المنهج الذي نأخذه في التحليل. من الممكن لظروف أو فرص أن تقوم الدول بتغيير أساسي في استراتيجيتها وأهدافها العليا. الطريقة التي يمكننا فيها استنتاج التغيير هو مراقبة باقي أصناف المعلومات فإذا ظهر هناك تضخماً غير عادي في أحد الأصناف فعندها يجب بحث الموضوع بعقل متفتح لأن هذا التضخم قد يكون مؤشراً أن إحدى هذه الدول قد غير من فلسفاته واستراتيجياته.

وهذا هو السبب كذلك في ضرورة الابقاء على أي أسئلة أو تعارضات ليس لها أجوبة. فإذا كانت هناك تعارضات بين الاحتمالات فلا بد من الابقاء عليها في الذهن حتى يتم الاجابة عليها بشكل مرضي، لأنها قد تكون مؤشراً هاماً عن تغيير قد حدث عند إحدى هذه الدول.

٣) العمل الصحفي الذي يمكن من جمع فتات المعلومات:

هذه النقطة هي إدراك لتفصيلات الواقع الحالي.
رجوعاً الى المثال السابق عن الطائرة التي أصبحت في السماء بحجم الذبابة، فإن فهم الفلسفات قد يمكن من تحديد إتجاه الطائرة. ولكن هذه الفلسفات لا تمكن من معرفة ماذا يحدث الآن داخل الطائرة وما هي الصراعات الداخلية فيها. العمل الصحفي هو الذي يسمح بمعرفة الصراعات الداخلية لدى الدول المتورطة بالأحداث.

٤) تطبيق مبدأ الاحتمالات في التحليل السياسي:

وهذا هو أهم المبادئ في التحليل السياسي. فإذا لم يكن للشخص إلاّ هذا المبدأ فإن المهارات الأخرى ستأتي مع الزمن، أما إذا كان للشخص كل المهارات إلاّ هذا المبدأ فإن تحليلاته ستكون خاطئة وإن أصاب بعضها.

المعلومات المتعلقة بالأحداث السياسية غير كاملة وغير دقيقة والكثير منها للتمويه. ولهذا فإن التحليلات السياسية هي غلبة الظن لأحد احتمالاتها. ونسبة الخطأ في هذا الاحتمال تعتمد على حجم المعلومات الأساسية غير المتوفرة. ولهذا السبب فالتحليل السياسي يقدم عدة احتمالات لتفسير الأحداث والتنبأ بالمستقبل. ويجب أن تبقى في الذهن أنها احتمالات لأن الذهن يجب أن يكون متنبهاً لأي معلومات تظهر، لأن هذه المعلومات قد تقوم بتعديل الاحتمالات، أو تقوية أحدها، أو إضعافه، أو إلغاءه، أو إضافة احتمال آخر جديد. كما يجب على الذهن الاعتراف بخطأ التحليل إذا ظهر، وبحث أسباب هذا الخطأ والتعلم منه. وإذا لم يحدث هذا فإن الذهن لا يمكنه من استمرارية التعلم.

إن مبدأ الاحتمالات في التحليل السياسي هو أهم مبدأ ولهذا فإن تعريف المؤلف للتحليل السياسي هو فن الغوص في عالم الاحتمالات.

الملحق الرابع

البرمجة اللغوية العصبية

Neuro Linguistic Programming

نشأت البرمجة العصبية فعلياً في عام ١٩٧٢ من قبل ريتشارد باندلر (Richard Bandler) و جون غريندر (John Grinder). ولكن تاريخ وشخصية ريتشارد مثيرة بعض الشيء وربما هذا هو السبب لعدم قيام المجتمع العلمي بالاهتمام كثيراً به وبأفكاره.

لم يأت عام ١٩٨٠ حتى وقد انتهت، وبشكل جاف، علاقة ريتشارد وجون. وفي نفس الوقت فقد أقامت عليه زوجته (زوجة ريتشارد) قضية طلاق واتهمته بالعدوانية (emotionally and physically abusive).

في عام ١٩٨٣ أعلنت شركة ريتشارد الافلاس.

في عام ١٩٨٦ تم القبض عليه بتهمة القتل، وبعد محاكمة استمرت ثلاثة أشهر تمت تبرئته، ولكن ما زال البعض يشعر بالامتعاض.

في عام ١٩٩٧ أقام ريتشارد دعوى قضائية على جون بهدف حصر الملكية الفكرية للبرمجة العصبية له وحده. وفي عام ٢٠٠٠ قامت المحكمة برد هذه الدعوى. وفي نفس العام أعلن ريتشارد الافلاس.

(المرجع: http://en.wikipedia.org/wiki/Richard_Bandler وغيره.)

هذه المقدمة للتنبيه أن البرمجة العصبية لا تقوم بحل كل مشكلة لكل شخص، وأنها ليست ديانة ولا هي مبادئ تنظم حياة الانسان، وإنما هي أدوات ثبتت فائدتها في حل وعلاج الكثير من المشاكل السلوكية، وتساعد على سرعة تعلم كثير من المهارات.

قبل ظهور البرمجة العصبية بوقت طويل، كان هناك أسلوبين رئيسيين في حل المشاكل النفسية والسلوكية: أسلوب فرويد، وأسلوب التنويم.

أسلوب فرويد:

لاحظ بعض العلماء أن الكثير من الضغوط النفسية والمشاكل السلوكية هي نتيجة لأن العقل لا يعرف السبب الحقيقي لها، وأنه إذا استطعت أن تضع الأصبع على السبب الحقيقي فإن العقل بعدها سيقوم بترتيب أموره بنفسه.

مثال ذلك أن تقوم إمرأة بمفارقة رجل يحبها. هذا قد يسبب لبعض الوقت شيئاً من الامتعاض والاكتئاب للغالب من الناس، ولكن هناك من تتحطم حياته لهذا الحدث. وأسلوب فرويد هو أن يسترخي الرجل ويبدأ في الحديث والحديث والحديث، ويقوم المعالج بتوجيه دفة الحديث حتى يبدأ الرجل بالإنتباه للأمور على حقيقتها: هل تحطمت الحياة حقاً جراء هذا السبب، هل يشعر حقاً بالمحبة أم يشعر بالحقد، هل يشعر بالمحبة أم يشعر بالهزيمة والإهانة، هل يشعر حقاً بالشوق أم يشعر بالخسارة، الخ.

وهنا النقطة، فإن المشاعر المختلفة المتعارضة إذا تجمعت وجاءت الى صدر الانسان في وقت واحد، فإن هذه المشاعر تختلط بعضها ببعض وتصنع صراعاً عنيفاً فيما بينها، وحيث أن العقل لا يميز هذه المشاعر بعضها عن بعض فإن النتيجة هي الحيرة والاكتئاب الشديد. وأسلوب فرويد هو أنه إذا استطاع العقل التمييز بين هذه المشاعر واستطاع أن يضع أصبعه على أسباب الصراع فإن العقل بعدها قادر أن يعيد ترتيب مشاعره وأوضاعه. إن هذا يشبه تماماً الذبابة التي حبست في صندوق مظلم لا ترى فيه المنفذ، فإذا ظهر الضوء، انتبهت للمنفذ وخرجت.

المشكلة في أسلوب فرويد أنه يحتاج الى الأسابيع والأشهر.

<u>**التنويم:**</u>

التنويم العميق هو إيصال الشخص الى حالة قريبة من النوم، وعندها يكون التوتر ورغبة الجدال في درجتها الدنيا، ويكون عقله متفتح للإيحاءات.

والتنويم معروف منذ القدم بأسماء مختلفة، فهو عند الهندوس والصوفيين أسلوب في الصفاء الذهني، وهو عند الصينيين واليابانيين الأقدمين أسلوب في تقوية المهارات القتالية. أما الغرب فقد انتبه له فرانز مسمر (Franz Mesmer) في ألمانيا عام ١٧٦٦. وكان أول علاج للتنويم هو علاج العصبية الشديدة (Convulsive Malady).

لم يأخذ المجتمع العلمي هذه الظاهرة بالاهتمام وذلك لأنها لم تكن قابلة للدراسة ولأن الدين المسيحي كان ينظر لهذه الظاهرة نظرة الريبة، ولا يزال الكثير في إيرلندا وأسكوتلندا من ينظر الى هذه الظاهرة نظرة الشك والريبة. ولم يقم المجتمع العلمي بالنظر الى هذه الظاهرة بشكل جدي حتى جاء ميلتون أريكسون (Milton Erickson) عام ١٩٥٠ ووضع منهج البحث العلمي لها.

ضمن تجارب ميلتون فقد ظهر أن التنويم يمكن أن يحدث ذاتياً ودون مساعدة من أحد، كما أن التنويم لا يمكنه أن يجبر الشخص على القيام بأمور تُخالف قيمه ومعتقداته.

هناك نماذج فلسفية كثيرة لتفسير هذه الظاهرة ولكن النموذج المشهور هو أن الانسان له تصرفات واعية، وله كذلك سلوكيات آلية. فكان النموذج الفلسفي هو أن العقل الواعي يتحكم بالتصرفات الواعية، وأن السلوكيات الآلية هي عبارة عن برامج عقلية يتحكم فيها العقل الباطن. وإذا تم وضع الشخص في حالة الاسترخاء فإن العقل الباطن يكون في حالة انفتاح، وعندها فإنه يمكن بالإيحاءات الإيجابية أن يتم تعديل البرامج العقلية غير المرغوب فيها.

وهناك أدلة علمية تضع بعض المصداقية لما سبق، فقد لوحظ أنه عندما يبدأ الانسان بتعلم المهارة فإنه تنشأ توصيلات عصبية في الدماغ، وتبدأ هذه التوصيلات بالتشابك والتعقد كلما ازداد الشخص مهارة. ولوحظ أن هناك علاقة واضحة بين التّعلم والنوم بشكل خاص وبين التعلم والاسترخاء بشكل عام، وأفضل مثال على ذلك هو أن كثير من الأشخاص يبدئون بتعلم المهارة (كقيادة السيارة) ثم يتوقفون ليوم أو يومين ثم يرجعون الى التدريب ليتفاجئوا أن مهاراتهم قد تضاعفت فجأة.

طريقة العلاج بالتنويم هو وضع الشخص في حالة استرخاء ثم الإيحاء له بالأفكار الإيجابية، فمثلاً في حالة الشخص الذي خسر حبيبته فإن الإيحاءات قد تكون أن الحياة ما زالت مستمرة وأن الكثير قد خبروا مثل هذه المشكلة ولم يتأثروا بها ,وهكذا.

كان ذلك هما الأسلوبين• الأساسيين في العلاج النفسي والسلوكي، ولكن في عام ١٩٦٠ استطاع بيرن (Eric Berne) أن يضع أول نموذج علاجي يجمع بين الأسلوبين ويضع خطوات واضحة للعلاج. وكان منهج ثوري استطاع أن يختصر المدة الطويلة التي يحتاجها أسلوب فرويد للنجاح. كان نموذج بيرن (ترجمة غير حرفية لـ Transactional Analysis) يعتمد على فلسفة وهي أن الانسان يتكون من ثلاثة أجزاء: القيم والعادات، النظرة العقلية، والعواطف. وأن مشاكل الانسان النفسية والسلوكية هي نتاج التنافر والتجاذب والصراع بين هذه الأجزاء الثلاثة.

البرمجة العصبية هي امتداد وتوسع للفلسفات الثلاثة السابقة (اسلوب فرويد والتنويم ونموذج بيرن).

في عام ١٩٧٢ تعرف ريتشارد على جون. وكانت لهما فلسفة بسيطة ولكنها فعالة. إذا أردت أن تمتلك مهارة عند شخص (وخصوصاً مهارة عقلية) فعليك أن تستخدم أسلوب الملاحظة والتجزئة (ترجمة غير حرفية لـ Modelling Process). في هذا الأسلوب فأنت تقوم بملاحظة سلوك وتصرفات هذا الشخص، ثم تقوم

•هناك أسلوب ثالث ولكنه خارج إطار هذا البحث. فقد انتبه بعض العلماء لما في بعض النباتات من أثر على تعديل المزاج وتهدئة الأعصاب وإحاطة للاكتئاب. وكانت امتداد هذه الملاحظات ظهور أدوية التهدئة ومضادات الاكتئاب. تقوم هذه الأدوية بإرخاء ضغط التوتر والاكتئاب على العقل، فيمكن عندها للعقل من النظر الى الأحداث بواقعية، وعندها يمكنه من ترتيب نفسه بنفسه، فهذه طريق مختصرة لأسلوب فرويد. المشكلة في هذه الأدوية أنها تختلف باختلاف الطبائع، فبعضهم يتحسن بهذا الدواء ولا يتحسن بالدواء الآخر، وبعضهم يتأثر بالأعراض الجانبية لهذا الدواء ولا يتأثر بالأعراض الجانبية للدواء الآخر. ولهذا فمن الخطأ الشديد أخذ هذه الأدوية دون إشراف ومتابعة من الطبيب المختص.

بتجزئة سلوكياته وتصرفاته لفلترة العوامل الأساسية في هذه المهارة من غيرها من التصرفات. ثم تقوم بالتجربة إذا كانت هذه العوامل هي العوامل الرئيسية، ثم تعيد الملاحظة والتجزئة والتجربة، وهكذا حتى تصل الى العوامل الرئيسية لهذه المهارة. وهنا تكون قد حصلت على وصفة لهذه المهارة ويمكنك عندها تعليمها للجميع.

مثال حقيقي هو وصفة مهارة الرماية، فقد طلب الجيش الأمريكي من أحد أساتذة البرمجة العصبية من تقديم المقترحات بخصوص رفع مستوى الرماية للمتدربين. فكان أن جمع عدداً من أمهر الرماة وبدأ باستخدام أسلوب الملاحظة والتجزئة: كيف يمسكون البندقية، ماذا يفكرون عندما ينظروا الى الهدف، كيف ينظرون الى الهدف، ما هو أسلوب التنفس عندهم، وهكذا. وكانت النتيجة هي وصفة عملية لهذه المهارة.

وكان لريتشارد مهارة خاصة، فقد كان يمتلك مهارة المحاكاة جسداً وصوتاً، فهو إذا رأى أحدهم يفعل شيئاً أو يقول شيئاً، فقد كان قادراً أن يحاكي ذلك الفعل والقول وكأنه ذلك الشخص. ولهذا فقد كان أقدر من غيره على الاستفادة من أسلوب الملاحظة والتجزئة.

كان اول عمل لهما هو ملاحظة مهارات بعض الأطباء النفسيين المتفوقين. وكانت النتيجة هو أول نموذج في البرمجة العصبية وهو نموذج التجريد (ترجمة غير حرفية لـ Meta Model).

الفكرة في هذا النموذج أن الانسان يستقبل في كل لحظة الملايين من الاحساسات البصرية والسمعية والحسية والذوقية والشمية. وحيث أن دماغ الانسان يبقى محدود، فلا بد للدماغ من عمل فلترة لهذه الاحساسات. هذه الفلترة تقوم باستخلاص الاحساسات المهمة وإهمال الباقي. فلترة الاحساسات هذه تعتمد على البديهيات والمسلمات والقيم والعادات والمهارات والرغبات، الخ.

الآن، عندما يقوم الانسان بالتفكير أو الحديث مع نفسه أو الحديث مع غيره فإن هناك جهاز فلترة آخر يقوم بإختزال الاحساسات الى ألفاظ وعبارات. جهاز الفلترة الأخير ضروري لأن الشخص عندما يتحدث عن قصة فإنه لا يمكنه أن يذكر كل شيء وإلاّ أصبحت القصة مملة، وإنما يقوم باستخدام مهارات اللغة من بلاغة وتشبيهات واستعارات ومجاز واختصار لذكر القصة.

هذه الفلترة ضرورية وإلا لما استطاع الانسان التواصل مع غيره بصورة فعالة. ولكن كأي نظام ديناميكي (راجع موضوع الأنظمة في فصل المناهج) فإن أي فائدة من نظام يمكن لها أن تنقلب الى ضرر إذا استخدمت بالأسلوب الخاطئ.

نموذج التجريد يقول أن جهازي الفلترة (الاستقبال والاختزال) إذا استخدما بصورة خاطئة فإنه يؤدي الى تشويه التفكير وتشويه الأفكار مما يؤدي الى تشويه نظرة الانسان الى الأحداث. وأن تصارع الأفكار والمشاعر عند الانسان هي بسبب تشوه لغة التفكير عنده. وأنه إذا استطاع العقل أن يضع الأصبع على حقيقة الأحداث فإنه سيقوم بترتيب نفسه بنفسه (إمتداد لأسلوب فرويد).

ضمن نظرة التجريد هذه فإن تشويه التفكير عند الانسان يأتي نتيجة عوامل لغوية تتعلق بالتعميم ، والتشويه اللغوي، والحذف:

التعميم: كقول الشخص أن الناس لا يقدروني. والتعميم هنا يتعلق بالناس: من هم أولئك الناس بالضبط.
التشويه: كقول الشخص أن زيداً لا يحب عائلته لأنه يتأخر في عمله. فكان التشويه هو لصق فكرتين دون رابط واضح.
الحذف: كقول الشخص: هذا الرجل مكروه. والحذف هنا يتعلق بالكراهية، فمن بالضبط يكره هذا الرجل، وما المقصود من كلمة كراهية، حيث أنها كلمة تحمل معاني كثيرة.

كان هذا هو الفلسفة في نموذج التجريد، أما التكنيكات فقد وضع النموذج أدوات وأساليب لغوية متكاملة تسمح بالانتباه الى العناصر الثلاثة السابقات (التعميم، والتشويه، والحذف) والكيفية لإرجاعها الى الحقيقة. وبالتالي فالهدف من نموذج التجريد هو إرجاع التفكير والأفكار الى حقيقتها وتجريدها من العواطف والتشبيه والمجاز والتعميم والحذف وإرجاعها الى حقيقتها المجردة. فعندما يأتي الرجل الى العلاج ويبدأ بشرح حالته للمعالج النفساني، فإن المعالج سيقوم بمقاطعة الرجل والطلب إليه بتوضيح عباراته. فإذا قال الرجل أن الناس يكرهوه. فإن المعالج سيوقفه وسيسأله من هم الناس بالضبط، وماذا تقصد بكلمة يكره. وقد يظهر بعد التجريد أن كل ما حدث أن زيداً وجريراً لم يكونا يدعوان الرجل لرحلات الصيد كما كانا يدعوان الآخرين، وهذه العبارة تختلف تماماً عن العبارة السابقة.

كان هذا النموذج ثورة حقيقية، إذ أن أسلوب فرويد يحتاج الى أسابيع وأشهر، ونموذج بيرن يحتاج الى أيام وأسابيع، أما نموذج التجريد فيحتاج الى ساعات أو بضعة أيام.

يجب التنبيه أن نموذج التجريد ينجح بشكل رائع في العلاج وفي التمحيص العلمي، ولكن يجب استخدامه بحذر وتعقل واحترام لمشاعر الآخرين وذلك لأنه نموذج فيه المقاطعة والتحقيق والشراسة.

ثاني عمل وضعه الثنائي (جون وريتشارد) هو استخدام أسلوب الملاحظة والتجزئة لاستخراج مهارات ميلتون (Milton Erickson) في التنويم. وكانت النتيجة نموذج ميلتون.

في هذا النموذج فقد ظهر أن التنويم الذي يحدث في المسرح أو عيادات التنويم إنما هو حالة عميقة من ظاهرة تحدث لجميع البشر يومياً. فالرجل عندما يذهب الى الامتحان فلربما يقول في صدره "اللهم يسر ولا تعسر، اللهم ألهمني حسن التصرف والجواب"، وأما غيره فربما يقول "It is easy, I can do it". وكلاهما عملية إيحاء ذاتي (حالة من التنويم) أولهما بأسلوب الدعاء• والآخر بالأسلوب المباشر.

•من المتع جداً الانتباه الى التشابه بين التكنيكات الحالية للإيحاء الذاتي وبين صلاة الاستخارة وصلاة الحاجة، والدعاء بشكل عام. ففي صلاة الحاجة فأنت تسبح ا وتذكره ثم تذكر الحاجة بتفصيلاتها. إن هذا وبشكل غير مباشر هو إيحاء ذاتي، ونظرية الايحاء الذاتي تقول أن الانسان أقدر بكثير على إنجاز حاجاته إذا كان العقل الباطن مدركاً تماماً لتفاصيل

وأنت عندما تحاول تعلم مهارات كرة القدم، فربما بعد محاولة أو محاولتين فاشلتين، تقوم بإغلاق عينيك ثم تتخيل قدمك تضرب بالكرة بالشكل الصحيح، وربما تقوم بتحريك قدمك في الهواء وكأن الكرة موجودة، وقد تقوم بعملية التخيل هذه مرات عدة.

الآن، عندما تقوم باغماض عينيك فأنت تضع نفسك في نوع من الاسترخاء، وأما عملية التخيل فهي نوع من الإيحاء الذاتي.

إن هذا يماثل ما يفعله الصينيون واليابانيون في تعلم الفنون القتالية، فهم بعد التدريب يقومون بالاسترخاء العميق، ثم يبدؤون بتقوية مهاراتهم بالتخيل.

كان نموذج التجريد ونموذج ميلتون البداية الأولى لنشوء البرمجة العصبية، ثم تفرعت هذه الفلسفة كما لو أنها كانت شرارة لامست حطباً.

فلسفة البرمجة العصبية الآن تعتمد على الفلسفات الرئيسية التالية:

١) هناك عقل واعي وعقل باطن. وانسجام الانسان وتطور مهاراته يتطلب انسجام العقل الباطن والتواصل المستمر بين العقل الواعي والعقل الباطن.

٢) يتكون العقل الباطن من أجزاء (إمتداد لنموذج بيرن). كل جزء (part) له مزاجه وأهدافه. وتحدث المشاكل النفسية والسلوكية بسبب تصارع هذه الأجزاء بعضها ببعض. مثال ذلك عندما يحب الانسان المخاطرة ولكنه يكره ولا يتحمل الخسارة. ضمن هذه الفلسفة فإن هناك جزءاً يحب المخاطرة وجزءاً يكره الخسارة. وأن سبب التردد عند ذلك الشخص ربما يكون بسبب تصارع هذه الأجزاء. وأسلوب الحل ضمن هذه الفلسفة هي إخراج الصراع الى الوعي وعمل المفاوضات بين هذه الأجزاء.

٣) يتم ترميز الاحساسات التي تصل الى الانسان عن طريق الحواس بأربعة عناصر أساسية : صور، أصوات، احاسيس، كلمات. وضمن هذه الفلسفة فإن الرغبات والمعلومات والمهارات والقيم والقناعات والعادات السيئة والحسنة، كلها مشفرة في الدماغ بتجمعات من هذه العناصر الأربعة. الفائدة من هذه الفلسفة هي أنه إذا تمت المعرفة الحقيقية للشيفرة المتعلقة بالمشكلة (كالوسواس أو الرهاب) فأنت لست بحاجة لنموذج التجريد ولا نموذج ميلتون وإنما تستطيع حل المشكلة بتعديل الشيفرة وبشكل مباشر عن طريق استخدام الألعاب الذهنية.

هذه الحاجة. وأسلوب الايحاء الذاتي للوصول الى هذه الحالة هو الاسترخاء ثم الطلب (لفظاً أو تخيلاً) من العقل الباطن من الحصول على هذه الحاجة، ويتم هنا شرح الحاجة أو تخيلها بالتفصيل الكامل. من المناسب هنا ذكر قول رسول ا عليه السلام: "إذا دعوتم ا فأعزموا في الدعاء ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني فإن ا لا مستكره له" رواه البخاري في التوحيد، وقال "إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر" رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

هذه الفلسفة قد فتحت الباب أمام الكثير من الألعاب الذهنية المبتكرة لحل المشاكل السلوكية عند الانسان. مثال ذلك إذا جاء شخص يشكو أنه ينسي مفتاح السيارة في داخلها. إحدى الألعاب الذهنية هي أن يسترخي الرجل ويغمض عينيه ثم يتخيل أنه أوقف السيارة وخرج منها وأغلقها بالمفتاح. ثم يتوقف عن التخيل ويفتح عينيه ويشغل عقله في أمر آخر ولمدة بسيطة ثم يغمض عينيه ويتخيل أنه يقفل باب السيارة بالمفتاح، ولكن هذه المرة يتخيل تفاصيل أكثر: لون السيارة، رائحتها، ملمس المفتاح، الخ. ثم يتوقف ويفتح عينيه ويشغل العقل في أمر آخر. ثم يعيد التخيل بتفاصيل وإضافات أكثر، وهكذا لعشرة أو عشرين مرة. هذا هو عبارة عن ترسيخ برنامج " إغلاق السيارة بالمفتاح" في الدماغ. والتكرار والتفصيلات والإضافات هي لعبة ذهنية هدفها زيادة الترسيخ. بمعنى آخر فإن هذه الألعاب تزيد من قوة تَذَكر الدماغ لهذا البرنامج.

طبعاً فإن فلسفة البرمجة العصبية لم تتوقف عند هذا الحد، وإنما تفرعت وتوسعت. ولكن الفلسفات السابقة كانت الأساسية ضمن وجهة نظر المؤلف.

يجب الانتباه أن معظم فلسفات البرمجة العصبية لم يتم تمحيصها علمياً. وحيث أنها فلسفة فإنها ينطبق عليها مبدأ الاحتمالات (راجع موضوع المنهج الفلسفي). وأي فلسفة ينطبق عليها مبدأ الاحتمالات فإنها يمكن أن تكون صحيحة، أو غير دقيقة، أو غير كاملة، أو خاطئة. وهذا ينطبق كذلك على البرمجة العصبية.

النقطة الأخيرة في هذا الفصل هو موضوع في غاية الأهمية، وللأسف فإنه لا يتم بحثه بشكل مناسب في الكتب الحديثة للبرمجة ولا في الدورات التدريبية.
إن أحد الأمور المهمة والتي رفعت من مصداقية البرمجة عند المؤلف هو التنبيه الواضح والصريح من الثنائي في كتابهما Reframing، أن فلسفات البرمجة العصبية هي "أكاذيب مفيدة". وكان واضحاً منهما أنه من الخطأ الشديد التصديق أن العقل مقسوم الى عقل واعي وعقل باطن، وأنه من الخطأ الشديد التصديق أن الانسان مقسوم الى أجزاء تتصارع فيه، وأن هذه الفلسفات هي غير صحيحة ولكنها مفيدة.

أما أنها غير صحيحة فذلك لأن الفلسفة بشكل عام لا تبحث عن ماهية الأشياء وأسرارها وإنما تبحث عن علاقة الأشياء بمحيطها. ففلسفة العقل الباطن لا تتحدث عن ماهية العقل البشري ولكنها تتحدث عن علاقة الانسان بالمحيط حوله. ولهذا فنموذج العقل الباطن ليس نموذجاً حقيقياً، وإنما نموذجاً مكافئاً (راجع موضوع المنهج الفلسفي). وتكون الفلسفة مفيدة إذا سمحت بالتنبأ والعلاج.

ولهذا السبب فإن فلسفات البرمجة العصبية ليست حقائق، ولكنها كذلك ليست خرافات أو أوهام، وإنما نماذج مكافئة تمت معرفتها بعد بحث جدي ولها تطبيقات مفيدة. إن هذا يشبه تماماً الطب الصيني، ففلسفة الطب الصيني ليست حقيقية، ولكنها مفيدة ولها تطبيقات علاجية حقيقية.
المشكلة الكبرى هي عندما يخلط الانسان بين الفلسفات والحقائق، وعندها فإن الرجل قد زرع بذرة التوهم في عقله، وستنمو هذه البذرة دون انتباه من أحد.

إن أفضل طريقة لحل هذه المشكلة هي أن تعمل في عقلك أرشيفين، أحدهما للحقائق، والآخر للفلسفات (راجع المنهج العلمي)، ويستطيع كل أرشيف أن يؤثر في الآخر ولكن يجب عدم خلطهما معاً. وهذا هو أساس التفكير المتوازي (التفكير بالخطوط المتوازية) الذي تم الحديث عنه سابقاً.

المراجع

مراجع عربية:

تقي الدين النبهاني، التفكير (١٩٧٣).
تقي الدين النبهاني، سرعة البديهة (١٩٧٦).
هاي روتشليس، التفكير الواضح، ترجمة لطيف دوس (١٩٦٨) مصر : نهضة مصر.

مراجع غربية:

Bandler, Richard. and Grinder, John (1990) Frogs into princes: neuro linguistic programming UK: Eden Grove.

Bandler, Richard. and Grinder, John (1982) Reframing : neuro-linguistic programming and the transformation of meaning US: Real People.

De Bono, Edward (1982) Lateral Thinking for Management UK: Penguin.

De Bono, Edward (1990) Six Thinking Hats UK: Penguin.

D'Herbemont, Olivier. and Cesar, Bruno (1998) Managing sensitive projects : a lateral approach UK: Macmillan.

Gall, John. (1986) Systemantics: The Underground Text of Systems Lore US:General Systemantics Press.

O'Connor, Joseph. and Seymour, John. (1993) Introducing neuro-linguistic programming : psychological skills for understanding and influencing people UK: Aquarian.

Phil Hanford, "Developing director and executive competencies in strategic thinking" (in) Developing Strategic Thought edited by Bob Garratt, (1995) UK: HarperCollins Publishers.

Senge, Peter. (1992) The Fifth Discipline: The art and practice of learning organization UK:Century Business.

Weinberg, Gerald (1992) Quality Software Management: Systems Thinking - V.1 UK: Dorest HOUSE.

Weinberg, Gerald (1997) Quality Software Management: Anticipating Change - V.4 UK: Dorest HOUSE.

Wikipedia Encyclopedia http://en.wikipedia.org

مؤلفات سابقة للمؤلف:

عمر محمد، فلسفات الحكم والدستور (١٩٩٩) لبنان: دار النهضة الاسلامية.
عمر محمد، بذور الهلاك: التربية التي زرعت فينا منذ ١٣٧٩ سنة (٢٠٠٠) لبنان: دار البيارق.

إذا أخذ الهاوي غير المحترف السيف البتار فإن هذا السيف سيكون وبالاً عليه وعلى من حوله، أما إذا أخذ الماهر المحترف سيفاً من خشب فإنه لن يصل الى القمة ولكن سيصنع بهذا السيف العجب، أما إذا أخذ الماهر المحترف السيف البتار فإنه سيشق به الجبال والبحار حتى الهدف.

وكذلك الاسلام ....